جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي

ويتضمن مسحاً واسعاً لمؤلفات الفقهاء الحضارمة المطبوعة والمخطوطة ومواضعها في مكتبات العالم

تأليف

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب



الجزء الأول

الباب الثاني

المذهب الشافعي وانتشاره في بلاد اليمن

وفيه فصلان:

الفصل الأول: المذهب الشافعي وعوامل انتشاره، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: لمحة عن نشأة مذهب الإمام الشافعي.

المبحث الثاني: عوامل انتشار المذهب الشافعي.

الفصل الثاني: مراحل انتشار المذهب الشافعي في اليمن.

الفصل الأول

المذهب الشافعي وعوامل انتشاره

قبل الخوض في الحديث عن انتشار فقه الإمام الشافعي ومذهبه، لابد لنا من الإلمام ببعض الأساسيات حول هذا المذهب، من نشأته وأسسه، وتطوره، وكيفية انتشاره في الأقطار، وهنا سيكون الحديث في عدة مباحث: عن نشأة مذهبه الفقهي وكيف تطور مع تطور مدارك الإمام، وكيف كان لرحلاته وأسفاره الأثر الكبير في تطور مذهبه.

وقد سبق في المقدمة ـ عند شرحي لكلمات عنوان البحث ـ أن ذكرت نقاطاً رئيسية وتواريخ هامة في حياة الإمام نفسه وسيرته، وذكرت بعض أعلام أصحابه (تلاميذه) وأبرزت منهم من ينسب إلى القبائل حضرمية لمناسبة ذلك للبحث.

المبحث الأول

لمحة عن نشأة مذهب الإمام الشافعي

كان الإمام الشافعي (ت **٢٠٤**هـ) يعد من أصحاب الإمام مالك (ت **١٧٩**هـ)، يدافع عن آرائه ويناهض أهل الرأي، دفاعاً عن فقه أهل المدينة، حتى سمي (ناصرَ الحديث)، وقد بلغَ في ذلك غايته، وأنطق المحدثين بحجتهم[1]. أخرج ابن عبد البر (ت **٤٦٣**هـ) بسنده إلى الإمام أحمد بن حنبل (ت **٢٤١**هـ) قال: ما أحد من أصحابِ الحديث حملَ محبرة إلا وللشافعي عليه منة. وقال مثل هذا القول الربيع بن سليمان صاحب الشافعي، فقيل له: يا أبا محمد، كيف ذلك؟ قال: إن أصحاب الرأي كانوا يهزؤون بأصحاب الحديث، حتى علَّمهم الشافعي وأقام الحجة عليهم[2].

الإمام في العراق؛ الرحلة الأولى ١٨٠هـ:

بعد وفاة شيخه الإمام مالك (ت **١٧٩**هـ) توجه إلى بغداد سنة **١٨٠**هـ، وأقام بها أربع سنوات أفاد فيها علماً جماً من الإمام محمد بن الحسن (ت **١٨٩**هـ) صاحبِ أبي حنيفة، وقرأ عليه كتُبَه، وجادلَ أهل الرأي وناظرهم، أحس بأنه لابد أن يخرج للناس بمزيج من فقه أهل العراق وأهل المدينة، واتجه إلى دراسة آراء شيخه الإمام مالك، دراسة

---

(١) الشيخ أبو زهرة، **الشافعي حياته وعصره، آراؤه وفقهه**، (دار الفكر العربي، القاهرة، **١٤١٦**هـ): ص**١٢٨**.

(٢) ابن عبد البر، **الانتقاء**: ص**١٢٩**، ود. أكرم القواسمي، **المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي**، (دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، **١٤٢٣**هـ): ص**٩٥**.

ناقدة فاحصة، لا دراسة متعصب لها مدافع عنها، ولعل المجادلة عن رأي مالك وإن دفعته إليها الحمية له، قد هدته إلى عيوب فيه، كما نفذ ببصيرته إلى محاسن وعيوب فقهاء العراق في مجادلتهم وفي دراسة فقههم وآرائهم، فكان لا بد حينئذ من فكر جديد واتجاه جديد، ثم إن المناقشة في الفروع وجهته إلى التعرف على الأصول والبحث عن الضوابط والمقاييس، فخرج من بغداد وقد أخذ يرسم خطوطاً جديدة لفقهه.

كان الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) رحمه الله ابتدأ تدوين العلم وكتابته أثناء إقامته في العراق، وكان يحاكي بتدوينه طريقة أهل العراق في تدوين الآراء، فأول ما ابتدأ بالكتابة في الرد والمناظرة، والدفاع عن فقه أهل الحديث، وعن رأي شيخه الإمام مالك (ت ١٧٩هـ) بالذات، قبل أن يشرع في تدوين مذهبه الخاص، ولم يتجه إلى تكوين مذهب مستقل وتدوين آرائه إلا بعد مغادرته بغداد في (رحلته الأولى) سنة ١٨٤هـ[١].

الإمام في مكة المكرمة؛ ١٨٤هـ:

وبعد مغادرته بغداد عاد إلى مكة المكرمة، واتخذ حلقة في المسجد الحرام، وابتدأ هناك في نشر مذهبه وآرائه الفقهية الخاصة به، وامتدت إقامتُه بمكة إلى نحو تسع سنوات، وكانت من أخصب مراحل حياته العلمية، لأنه كان قد بلغ الأَشُدَّ، وكان قد جمع في رحلاته أكثر ما عند أهل كل بلد من أحاديث، واطلع على الآراء المختلفة لعلماء جيله، فأخذ ينظر في هذه الحصيلة العلمية الحديثية والفقهية، فعكف على الحديث ينظر فيه، فوجد فيه المتعارض، والمنسوخ، والثابت المحكم، وهكذا، بدأ يفحص الأدلة، ثم اتجه إلى أدلة القرآن الكريم وأخذ يدرسُها.

وصحبه في مكة عدد من الأئمة، قدمت ذكر بعضهم في المقدمة، وكان من بينهم أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) وإسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ) في أول تعرفهما عليه،

---

(١) الشيخ أبو زهرة، **الشافعي حياته وعصره**: ص١٣٧-١٣٨.

وكان أبو بكر الحميدي (ت **٢١٩**هـ) كبيرَ أصحابه وهو الذي روى عنه بعض كتبه التي وضعها في مكة، منها **الرسالة** التي كتبها بطلب من عبد الرحمن بن مهدي (ت **١٩٨**هـ)، وبعث بها إليه، على رأي بعض المتأخرين[١]، وهو مخالف لما ورد عند المتقدمين من: أنه كتب الرسالة القديمة بالعراق، ثم جددها بمصر ورواها عنه الربيع[٢].

المذهب القديم؛ الرحلة الثانية إلى العراق (١٩٥-١٩٨هـ):

ثم قدم الإمام إلى بغداد سنة **١٩٥** هـ، وهي قدمته الثانية، فأعلنَ كتبه، وأقرأها لتلاميذه، وقد سُمِّيت هذه الكتبُ العراقية **(الحجة)** لأنها كانت في الردِّ على أهل الرأي، وهو مجلد ضخم، قال الشيخ أبو زهرة: «إذا أطلِقَ المذهبُ القديم للشافعي فالمرادُ به هذا الكتاب، وهو شبيهٌ بكتاب الأم، فكان فتحاً جديداً لأهل العراق. حتى قال أبو علي الكرابيسي (ت **٢٥٦**هـ) قولته المشهورة: ما كنا ندري ما الكتاب ولا السنة، حتى سمعنا الشافعي يقول: الكتاب، والسنة، والإجماع»[٣]. وروى المذهب القديم عنه أربعة: أحمد، وأبو ثور، والزعفراني، والكرابيسي[٤].

---

(١) هو رأي الشيخ أحمد شاكر، والشيخ أبو زهرة، **ينظر**: الشيخ أبو زهرة، **الشافعي حياته وعصره**: ص١٢٨، وص ١٣٨، وعبد الغني الدقر، **الإمام الشافعي**، (دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ): ص**٣١٠**، و د. محمد سميعي، **القديم والجديد من أقوال الإمام الشافعي**، (دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ): ص٦٣-٦٤.

(٢) الحافظ البيهقي، **مناقب الشافعي**، تحقيق السيد أحمد صقر، (مكتبة دار التراث، القاهرة، **١٣٩١**هـ): **١/ ٢٤٢**، و د. أكرم القواسمي، **المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي**: ص٢١١، و د. محمد سميعي الرستاقي، **القديم والجديد من أقوال الإمام الشافعي**: ص٦١.

(٣) ابن أبي حاتم الرازي، **آداب الشافعي ومناقبه**: ص٥٧، **وينظر**: د. أكرم القواسمي، **المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي**:ص ٩٤.

(٤) الشيخ أبو زهرة، **الشافعي حياته وعصره**: ص١٣٨، الدقر، **الإمام الشافعي**: ص**٣١٠**، الرستاقي، **القديم والجديد من أقوال الإمام الشافعي**: ص**٥٥**، حاجي خليفة، **كشف الظنون**: ١/ ٦٣١.

وأقام الإمام في العراق نحو ثلاث سنوات، كانت تمثل **الدور الثاني** من أدوار اجتهاده، وفيها أخذ يستعرض آراء الفقهاء الذين عاصروه، بل آراء الصحابة والتابعين، يعرضها على ما وصل إليه من أصول كلية، ويرجح بينها على مقتضى هذه الأصول، ثم يدلي بآرائه التي يراها تنطبق على أصوله، فكان يختار منها ما يراه الأقرب لأصوله، أو يخرُج عنها جميعاً برأي جديد إن لم يجد ما ينطبق على هذه الأصول. والتقى في هذا الدور بتلاميذ جدد، تلقوا عنه ذلك الفقه الذي كان دراسة عميقة لآراء الفقهاء ثم استخلاص خيرها، أو إبداء آراء جديدة منها[١].

المذهب الجديد؛ في مصر (١٩٩-٢٠٤هـ):

انتقل الإمام إلى مصر عام **١٩٩**هـ، وأقام فيها الأربع السنوات الأخيرة من عمره، ووافته منيته بأرضها، وفيها كان قد تكامل نمو فقهه، ونضجت آراؤه، واختبر العمل بها، فأنتج الاختبار فكراً جديداً. ثم رأى في مصر عرفاً وحضارةً، وآثاراً للتابعين، فأخذ يدرس آراءه السابقة كلها، وكتب **رسالته** في الأصول كتابة جديدة، زاد فيها وحذف منها، وأبقى لب رسالته القديمة، كما درس آراءه السابقة في الفروع فعدَل عن بعضها.

وبهذا كان للإمام قولان: قديمٌ رجع عنه، وجديدٌ اهتدى إليه. ومما صنفه بمصر أو أملاه: الكتاب الأم، والأمالي الكبرى، والإملاء الصغير، وهي «**كتب المذهب الجديد**»، قال الإمام رحمه الله: «لا أجعل في حل من روى عني كتابي البغدادي»[٢]، وقال الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٦٤هـ) لما سئل عن التصانيف العراقية لشيخه الإمام: «عليك

---

(١) الشيخ أبو زهرة، **الشافعي حياته وعصره**: ص١٣٠.

(٢) الشيخ أبو زهرة: **الشافعي حياته وعصره**: ص١٣٩، **وتاريخ المذاهب**: ص٤٦٢، والرستاقي، **القديم والجديد من أقوال الإمام الشافعي**: ص٥٧ .

بالكتب التي وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك»[١]. وهذا **الدور الثالث** هو دور التمحيص كما يمكن أن يسمى، وقد روى عنه أصحابه المصنفات، ونقلوا عنه خلافاته مع الفقهاء، وبذلك لم يمت حتى ترك ثروة من المسائل الفقهية وطرق الاستنباط[٢].

أصول مذهب الإمام الشافعي:

استقى الإمام الشافعي رحمه الله فقهه من خمسة مصادر، نص عليها في كتابه الأم، فقال رحمه الله: «العلم طبقات شتى: **الأولى**: الكتاب والسنة إذا ثبتت. ثم **الثانية**: الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة. **والثالثة**: أن يقول بعض أصحاب رسول الله ﷺ قولاً ولا نعلم مخالفاً منهم. **والرابعة**: اختلاف أصحاب النبي ﷺ في ذلك. **والخامسة**: القياس.

ولا يصار إلى شيء غير الكتاب والسنة وهما موجودان، وإنما يؤخذ العلم من أعلى»[٣].

ومعروف أن الإمام الشافعي له الأسبقية المطلقة في تدوين علم الأصول[٤]، تلك

---

(١) ابن أبي حاتم الرازي، **آداب الشافعي**: ص٦٠، الحافظ البيهقي، **مناقب الشافعي**: ١/ ٢٦٣.

(٢) الشيخ أبو زهرة، **الشافعي حياته وعصره**: ص١٣٠-١٣١.

(٣) الشيخ أبو زهرة، **تاريخ المذاهب**: ص٤٤٧، **وينظر**: محمد الطيب يوسف (ت **١٤٢٩**هـ)، **المذهب عند الشافعية**، (مكتبة دار البيان الحديثة، الطائف، الطبعة الأولى، **١٤٢١**هـ): ص**٤٣** وما بعدها.

(٤) الشيخ أبو زهرة، **الشافعي حياته وعصره**: ص**٣٠٠**، وقد بحث هذه الجزئية بتوسع بعض المعاصرين، كالدكتور محمد رواس قلعجي في بحث بعنوان «**تأسيس الشافعي علم أصول الفقه**»، والدكتور محمد رأفت عثمان في بحث بعنوان «**الإمام الشافعي أول واضع لعلم أصول الفقه**»، وقد طبع البحثان ضمن كتاب بعنوان «**الإمام الشافعي فقيهاً ومجتهداً**»، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة؛ الإيسيسكو، عن: د. أكرم القواسمي، **المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي**: ص**٢٤٠** (هامش: **٢**).

الأصول التي لم يكن وضعها لخدمة مذهبه من حيث الجدل عنه، وإن كانت ضابطة له، فلم يكن الباعث عليها نزعة مذهبية، وإنما بعث عليها ضبطُ أساليب الاجتهاد، ووضع حدود ورسوم للمجتهدين لكيلا يكون الفقيه كحاطبِ ليل، لا يدري أيقع على حطب يحتطبه، أم يقع على أفعى تقتله[1].



(١) الشيخ أبو زهرة،: **الشافعي حياته وعصره**: ص٣٠٠.

المبحث الثاني

عوامل انتشار المذهب الشافعي

إن المذهب الشافعي هو ثالث المذاهب الأربعة الشهيرة في القدم، واجتمع له من الفضائل ما لم يجتمع لغيره، وكان يقال لأصحابه (أهل الحديث) كالمالكية، بل كان أهل خراسان إذا أطلقوا (أصحاب الحديث) لا يعنون بهم إلا الشافعية[١]، وسمي الإمام في بغداد (ناصر السنة)، كما تقدم آنفاً، ولقد مزج الإمام الشافعي فقه أهل الحجاز (بأخذه عن الإمام مالك)، بفقه أهل العراق (بلقائه أصحاب الإمام أبي حنيفة وأخذه عنهم)، ثم استقل أخيراً بمذهبه، لهذا كان وسطاً بين المذاهب الفقهية[٢].

عوامل انتشار المذهب الشافعي:

هناك عاملان أساسيان يفسران سرعة انتشار المذهب الشافعي وإقبال أهل العلم عليه والتزامه منهجاً في الحياة، **الأول**: عامل فكري علمي، **والثاني**: عامل سياسي.

١ـ أما عن **العامل الأول؛ وهو العامل الفكري العلمي**: فيقول العلامة الشيخ محمد الحجوي الفاسي (ت ١٣٧٦هـ): «إن السبب الكبير في سرعة انتشار مذهب الإمام الشافعي: أنه أسس أصولاً تشريعية هامة، منها: أخذه بالسنة مطلقاً ما لم يثبت نسخها،

---

(١) أحمد تيمور، **حدوث المذاهب الفقهية وانتشارها**، (دار القادري، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ): ٧٠ – ٨٠ بتصرف يسير.

(٢) عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ): ص٤١٨.

وأخذ بأحاديث غير الحجازيين، ولم يشترط إلا الصحة أو الحسْن، وترك المرسلَ والمنقطع والمعضل ما لم يثبت اتصاله كمراسيل ابن المسيب، ولم يحتج بأقوال الصحابة لأنها يحتمل أن تكون عن اجتهاد يقبل الخطأ، ولم يعتبر ترك الصحابي أو من دونه أو أهل بلده أو قطر للحديث قادحاً فيه، إذ قد يكون لغفلة عنده وعدم حفظه، لما رآه من اجتهاد الصحابة في مسائل كثيرة ثم يظهر الحديث بوفاقها فيفرحون، أو بضدها فيرجعون. كما أخذ رضي الله عنه بالقياس فيما لم يكن فيه نص.

فاستحوذ بذلك على آراء من سبقه من الأئمة، فربح غنية كبرى، واستمال كثيراً من أهل الفئات الثلاث (الحنفية أهل الرأي، والمالكية، وأهل الحديث)، فوقع له ظهور عظيم بنشره لكتبه ومذهبه في العراق ومكة ثم بمصر، وانتشر مذهبه سريعاً بين علماء الأمة، إذ كان وسطاً من الأمر، ولم تكن الأمة جامدة تنظر إلى الأشخاص فقط فتقدمها، بل تنظر إلى قيمة الأقوال فتزنها وتمحصها، وكان مع ذلك محظوظاً، خدمه وأشاع مذهبه وتلمذ له **من هو أجل منه**»[(١)].

ويقصد شيخُ شيوخي العلامة الحِجْوي بـ«**مَن هو أجلُّ منه**»: بعضَ كبار المحدثين الذين من أبرزهم: إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة (ت **٣١١**هـ)، والحافظ الكبير عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت **٣٢٧**هـ)، والحافظ الكبير أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت **٣٨٥**هـ)، وكبار الأئمة الفقهاء ممن وصف بعضهم بالاجتهاد المطلق كأبي بكر ابن المنذر النيسابوري (ت **٣١٨**هـ)[(٢)]، وهي عبارة غير مستساغة عندي**!**

٢ـ وأما العامل الثاني؛ السياسي: فمجمل القول فيه: أنه في عهد الدولة العباسية

---

(١) محمد بن الحسن الحجوي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**: ٢/ ٤٧١-٤٧٣ (بتصرف يسير).

(٢) د. أكرم القواسمي، **المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي**: ص٣٣٤-٣٣٧.

كان المذهب الرسمي هو المذهب الحنفي، وعليه العمل في القضاء والفتوى، حتى في الديار المصرية، إلى منتصف القرن الرابع الهجري فصار يعمل به في الفتوى. نعم؛ ظهر آحاد من القضاة الشافعية[١] في بلاد الشام كأبي زرعة الدمشقي (ت **٣٠٢**هـ) بدمشق.

أما في العراق: فإن السيطرة فيه كانت للأحناف، إلى أن كان عهد المقتدر العباسي (تولى سنة **٣٠١**هـ، وتوفي سنة **٣٢٠**هـ) فقد عيّن على قضاء سجستان القاضي أبا سعيد الحسن بن أحمد الإصطخري (ت **٣٢٨**هـ). ثم كان أول من تولى منصب قاضي القضاة من الشافعية **ببغداد** سنة **٣٣٨**هـ هو أبو السائب عتبة الهمذاني (ت **٣٥٠**هـ)، وبعده أبو بِشْر عمر بن أكثم (ت **٣٥٧**هـ). وقد حدث في عهد القادر العباسي (ت **٤٢٢**هـ)، أن ولى قاضياً شافعياً على بغداد فثار أهلها مما اضطر الخليفة أن يعزله لإرضاء الشعب[٢].

ولقد تكفل فيلسوف الإسلام العظيم ابن خلدون الحضرمي (ت **٨٠٨**هـ) بشرح ذلك في مقدمته بقوله: «وأما الشافعي فمقلدوه بمصر أكثر مما سواها، وكثر أصحابه بها، ثم ظهر بالعراق وغلب على بغداد وعلى كثير من بلاد خراسان، وتوران، والشام، واليمن، ودخل ما وراء النهر، وبلاد فارس، والحجاز، وبعض بلاد الهند، ودخل شيء منه في إفريقية والأندلس سنة **٣٠٠**هـ.

وقاسمَ الشافعيةُ الحنفيةَ في الفتوى والتدريس في جميع الأمصار، وعظُمت مجالس المناظرات بينهم، وشحنت كتب الخلافيات بأنواع استدلالاتهم، ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره. ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة، وتدوَّل بها فقه أهل البيت وكان من سواهم يتلاشون ويذهبون، إلى أن ذهبت دولة العبيديين على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب، فذهب منها فقه أهل البيت، وعاد فقه

---

(١) د. أكرم القواسمي، **المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي**: ص٣٣٧-٣٤٠.

(٢) الشيخ أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**: ص٤٦٦.

الجماعة إلى الظهور بينهم، ورجع إليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام، فعاد إلى أحسن ما كان ونفقت سوقه»[١]، إلخ.

هذا نزر يسير من تاريخ حدوث المذهب وانتشاره، ومما هو جدير بالذكر أن حوادث كبيرة وقعت بين أتباع المذاهب، ثارت فيها النزعات والعصبيات المذهبية، وليس هذا مجال للخوض فيها، وفيما أوردته كفاية، وخير الكلام ما قل ودل[٢].



(١) ابن خلدون، **المقدمة**: ص٤١٩ (ملتقطا)، وأحمد تيمور، **حدوث المذاهب الفقهية وانتشارها**: ص٧٠ – ٨٠، وشيخنا محمد الطيب اليوسف، **المذهب عند الشافعية**: ص٧٠. **وينظر** للمزيد: الشيخ أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**: ص٤٦٦-٤٦٧.

(٢) ومن أراد المزيد فعليه بكتب طبقات الشافعية: للسبكي والإسنوي والنووي وغيرهم، و بكتاب العلامة أحمد تيمور باشا، **تاريخ حدوث المذاهب**، وكتاب د. أكرم القواسمي، **المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي**.

الفصل الثاني

مراحل انتشار المذهب الشافعي في اليمن

تمهيد:

بلاد اليمن أرض خصبة أنتجت العديد من كبار المحدثين وحُفّاظ السنة النبوية، وقصدها أئمة الدين من أنحاء الأرض ليأخذوا العلم عن حافظ الدنيا عبد الرزاق الصنعاني (ت **٢١١**هـ)، الذي قيل في حقه: «لم يرحل إلى أحد في الإسلام بعد رسول الله ﷺ ما رحل إلى عبد الرزاق»(١)، وهذا قول بالغ وعظيم لم يقل في غيره، وظلت الرحلة قائمة إلى أن انقرضت طبقة أصحابه من أهل اليمن الذين كان آخرهم وفاة إسحاق الدبري (ت **٢٨٥**هـ).

وقد أوجز الحافظ الذهبي (ت **٧٤٨**هـ) رحمه الله الكلام على أهل الحديث في اليمن، بقوله: «**اليمن**: دخلها معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، أصله من تهامة اليمن، وخرج منها أئمة التابعين وتفرقوا في الأرض. وكان بها جماعة من التابعين كابني منبه، وطاوس وابنه، ثم معمر وأصحابه، ثم عبد الرزاق وأصحابه، وعدم منها بعدهم الإسناد»(٢). انتهى.

---

(١) السمعاني، **الأنساب**: ٣/ ٥٥٦، وابن خلكان، **وفيات الأعيان**: ٣/ ٢١٦.

(٢) محمد بن أحمد الذهبي، **الأمصار ذوات الآثار**، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وابنه (دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ): ص٤٧-٤٩.

لكن الحافظ السخاوي (ت **٩٠٢هـ**) تعقب كلام الحافظ الذهبي بقوله: «**قلت**: وهو قطر متسع، يشتمل على تهامة ونجد، فيه مدن وقرى وشعاب وجبال، ولم يزل العلماء به في عصر الصحابة يتوفرون، والأئمة إليها يرحلون، بل هي في كل عصر في ازدياد من العلم»(١).

أقول: ولعل مراد الحافظ الذهبي بانعدام الإسناد: إغلاق باب الرحلة لانتهاء عصر التدوين، حيث كانت الأحاديث النبوية قد دونت وجمعت، فانصرف أهل العلم إلى دراستها واستغنوا عن الرحلة إلا في القليل النادر، كما أن هذا القول الموجز من الإمام الذهبي لا يكفي في تقديم صورة متكاملة عن الوضع المذهبي في اليمن في عصور الإسلام الأولى، لكننا نعلم أن المذهبين المنتشرين في القرن الثاني والثالث الهجريين: هما مذهب أبي حنيفة، ومذهب مالك، واستمرا إلى المائة الثالثة فزاحمهما المذهب الشافعي.

وذلك يتبين من قول ابن سمرة (ت **٥٨٦هـ**) في طبقاته: «وكان الغالب في اليمن مذهب مالك وأبي حنيفة، ولم يكن علم السنة مأخوذاً في هذا المخلاف إلا من جامع معمر بن راشد البصري، وهو مصنف في صنعاء، وجامع سفيان بن عيينة، وجامع أبي قرة موسى بن طارق اللحجي الجنَدي، ومن المرويات عن مالك في الموطأ وغيره مثل كتاب أبي مصعب، وعما يروى عن طاوس وابنه، والحكم بن أبان، وقدماء فقهاء اليمن الذين ذكرت لك طرفاً من فضلهم وشيوخاً من جلتهم»(٢). انتهى.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التوريخ**، (نشرة القدسي، مصر، **١٤٠٣**): ص**١٣٩**.

(٢) ابن سمرة الجعدي، **طبقات فقهاء اليمن**، تحقيق فؤاد سيد، (دار القلم بيروت، مصورة عن طبعة القاهرة، **١٩٥٧**م): ص٧٤، **٧٩**، وأيمن فؤاد سيد، **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري**، (الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ): ص٥٨.

الوضع المذهبي في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين:

تحدث العلامة المؤرخ عمر بن علي بن سمرة (توفي بعد سنة **٥٨٦هـ**) في كتابه الذي هو أقدم المصادر التاريخية لفقهاء الشافعية في اليمن، عن الأحداث الكبار في اليمن أواخر القرن الثالث ومطلع الرابع الهجريين، فذكر حدثين كبيرين، هما:

الحدث الأول: فتنةُ القرامطة، بظهور اللعين علي بن الفضل القرمطي (هلك سنة **٣٠٣هـ**)، وكان ظهوره في اليمن بعد سنة **٢٧٧هـ**. **والحدث الثاني**: قيام الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحسني (ت سنة **٢٩٨هـ**) في صعدة، ودعوته إلى الإمامة، وكان ظهوره سنة **٢٨٠هـ**، وقام بمقاتلة القرامطة والباطنية ونكل بهم بعد قيامه. قال ابن سمرة (ت **٥٨٦هـ**) في طبقاته: «وكان أهل اليمن صنفين: إما مفتونٌ بهم، وإما خائف متمسك بنوع من الشريعة، إما **حنفي** وهو الغالب، وإما **مالكي**. وللدول في طي العلوم ونشرها وإظهارها تأثيراتٌ ..»[1] إلخ.

ووردت معلوماتٌ هامة عند المؤرخ الرحالة البشاري المقدسي (ت حوالي **٣٨٠هـ**) عما كانت عليه مذاهب أهل اليمن في القرن الرابع الهجري، قال رحمه الله: «ومذاهبهم بمكة وتهامةَ **وصنعاء**: سُنَّةٌ، وسَوادُ صنعاء ونواحيها مع سواد عمان: شُراةٌ غاليةٌ، وبقيةُ الحجازِ وأهلِ الرأي بعُمان وهَجَر وصَعدة: شيعةٌ، وشيعةُ عمانَ وصعدةَ وأهلِ السروات وسواحلِ الحرمين: معتزلةٌ إلا عُمان. والغالب على صنعاء وصعدة: أصحاب أبي حنيفة والجوامع بأيديهم، وبالمعافر: مذهبُ ابن المنذر، وفي نواحي نجد اليمن: مذهبُ سفيان»[2]. انتهى.

لكن نقل الحافظ السخاوي (ت **٩٠٢هـ**) عن المؤرخ الجندي (ت **٧٣٢هـ؟**) قوله: إن أهل اليمن لما ظهر مذهب الشافعي واشتهر عندهم، رجعوا إلى تقليده، وأن ذلك كان

---

(١) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٧٩-٨٠.

(٢) محمد بن أحمد البشاري المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**: ص٩٦.

في المائة الثالثة[١]. ثم أشار ـ السخاوي ـ إلى ما ذكره ابن خلدون من أن الانتشار بلغ مدىً كبيراً في عهد الدول الأيوبية (**٥٦٩-٦٦١هـ**) وما بعدها حتى الآن، كما تقدم النقل عنه قريباً. ثم قال معرجاً على ذكر إباضية حضرموت الذين سماهم (العثمانية): «ويوجد في علمائه ـ أي: قطر اليمن ـ الحنفيةُ، وكثيرٌ من الزيدية وهم بصنعاء ونحوِها، **ومن العثمانيةِ وهم بحضرَموت،** ومن الإسماعيليةِ وهم بالجبال، وغيرِهم من الطوائف»[٢]. انتهى.

وتجدر الإشارة إلى ميل بعض الباحثين إلى إعادة أسباب انتشار المذهب الشافعي في اليمن: إلى دخول الإمام الشافعي نفسه إلى اليمن[٣]، كما قدمتُ ذكرَ ذلك في المقدمة.

إشكال تاريخي:

بتتبعي لعبارات المؤرخين الذين تحدثوا عن بدء انتشار المذهب الشافعي وطلائعه الأولى في اليمن، وقفت على عبارات متغايرة تحتاج إلى تأمل، وهي العبارات التالية:

الأولى: قال ابن سمرة (ت **٥٨٦**هـ؟): «وكانت الشفعوية وكتبها وشيوخها **قبل القاسم** بن محمد القرشي وأصحابِه غير مشهورة باليمن، خصوصاً في هذا المخلاف»[٤]. وكانت وفاة القاسم المذكور سنة **٤٣٧** هـ، كما سيأتي في ترجمته لاحقاً. وهذه الفترة هي

---

(١) هو محمد بن يوسف الجندي، توفي بين عامي ٧٣٠ و **٧٣٢**هـ، **والنقل عن كتابه: السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، (مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، **١٤٠٩**هـ): **١/ ١٤٩**، وا**بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن: فقهاء اليمن**: ص٨٠ وما بعدها، والجندي إنما هو ناقلٌ عن ابن سمرة إلا أن الحافظ السخاوي لم يطلع على هذه الطبقات فيما يبدو.

(٢) السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التوريخ**: ص**١٣٩-١٤٠**، بتحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح العلي، (دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة، د.ت): ص**٢٩٦**.

(٣) أيمن فؤاد سيد، **تاريخ المذاهب الدينية**: ص**٥٨-٥٩**، وشيخنا عمر الجيلاني، **مشاركة فقهاء حضرموت**: ص٧ .

(٤) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٨٠.

التي عناها الجندي (ت بعد **٧٣٢هـ**) بقوله في «السلوك»: « وفي هذه **المائة**، أعني: **الرابعة**، دخل مذهب الشافعي اليمنَ وانتشر»(١).

الثانية: قال القاضي البهاء الجندي أيضاً في تاريخه المذكور: «وفي **المائة الثالثة** ظهر مذهب الإمام الشافعي في اليمن»(٢)، وتقدم آنفا أن السخاوي نقل ذلك عنه.

فبتأمل هذه العبارات وجدت أن هناك نقاط التقاء وافتراق فيها: فإن المتتبع لتواريخ الفقهاء الذين ذكرهم ابن سمرة وتبعه الجندي، يجد أن أقدمهم وجوداً كان في أوائل القرن الرابع (المائة الثالثة) وهو الفقيه موسى بن عمران المعافري، الراوي عن ابن الجارود وهو عن الزعفراني وهو عن الإمام الشافعي، وابن الجارود توفي سنة **٣٠٧هـ**، كما سيأتي ذكره. فهذه هي البدايات القديمة لظهور المذهب في أرض اليمن، والتي عبر عنها الجندي بالمائة الثالثة.

ولاشك أن وجود فرد أو آحاد من الناس يتفقهون على الشافعي لا يعني أن المذهب كان قد ظهر وانتشر، ولكنه موجود، ثم بعد ذلك بنحو قرن من الزمان، ومطلع القرن الخامس (المائة الرابعة كما عبر بعض القدماء)، كان الظهور الكبير للمذهب على يد القاسم القرشي (ت **٤٣٧هـ**)، فانتشر المذهب بانتشار التلاميذ وتدريس كتب الشافعية في البلدان والنواحي اليمانية، وبهذا نجمع بين عبارات المؤرخين.

فبان بهذا أنه لا خلاف أصلاً بين العبارات الثلاث، وأن بعضها يفسر بعضاً، ولكن لأنها جاءت في مواضع متفرقة، ولم تكن في سياق واحد، فاختلفت النتائج وصعب على البعض ربط الأحداث ببعضها، وإيرادها على نسق تاريخي وترتيب منطقي.

---

(١) الجندي، **السلوك**: ١/ ٢١٦.

(٢) الجندي، **المصدر السابق**: ١/ ١٤٩.

مراحل الانتشار:

وكان بعض الباحثين[١] قد استشكل هذه العبارات، فرفع استشكاله إلى شيخه العلامة الحجة الكبير علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) الذي حقق الموضوع غاية التحقيق، فساقه تأمله في المصادر إلى الذهاب إلى كون انتشار المذهب قد مرَّ بثلاث مراحل، ترسخ خلالها وثبتت قواعده في بلاد اليمن[٢]. وهذه المراحل هي: مرحلة الابتداء، ومرحلة التوسط، ومرحلة الانتهاء[٣]. وهو تقسيم جميل ومنطقي، وله نتائج إيجابية كثيرة، منها:

ـ التعرف على أن الزمرة الأولى من الفقهاء، كانت طلبت العلم وتفقهت خارج اليمن في غالب أحوالها، ثم عادوا وكان لهم أثر كبير في نشر المذهب في أول الأمر. ثم صاروا يحصلون العلم داخل اليمن وبعد ذلك يطلبونه في خارجه. ثم قلَّتِ الرحلة إلى خارج اليمن جداً، واكتفى طلاب العلم بشيوخهم اليمانيين.

ـ أن الفقهاءُ الأوائل كانوا يجمَعون بين الحديث والفقه كما نرى ذلك في الثلاث الطبقات الأولى، ثم لم يزل الأمر يضعف حتى صار الفقه يدرَّس مجرَّداً عن الدليل.

ـ كان الفقهاء إلى القرن السابع وبعده بقليل يقارنون بين المذاهب الفقهية، غير جامدين، ثم صاروا شافعية صرفاً، وتركوا المقارنة بين المذاهب وذكر الخلاف العالي.



(١) هو العلامة السيد عبد اللاه بن حسن بلفقيه (ت ١٣٩٩هـ).

(٢) هذا التقسيم المرحلي، يتمشى كثيراً معه: ما ذهب إليه الباحث الدكتور أكرم القواسمي في تقسيمه انتشار المذهب الشافعي (عموماً) إلى مراحل تاريخية، وهذا مما يساعد الباحث على الخروج بنتائج جيدة ومركزة في الحكم على التطور المذهبي.

(٣) علوي بن طاهر الحداد، **جنى الشماريخ**: ص١٦، ١٨.

مطلب
في ذكر المرحلة الأولى

مرحلة بدء الانتشار (٣٠٧ – ٤٠٠ هـ):

إن تقييمي لهذه المرحلة يتمشى مع ما ذهب إليه الباحث الدكتور أكرم القواسمي، الذي يرى أن المرحلة الأولى للمذهب الشافعي (عموماً) تشكل الفترة بين عامي (٢٧٠هـ – ٤٠٤هـ)، أي: من زمن وفاة آخر تلامذة الإمام وهو الربيع المرادي، إلى تاريخ وفاة أبي الطيب الصعلوكي، وهذه المرحلة هي (الدور الثاني) عنده، وسماها (مرحلة ظهور مذهب الشافعية واستقراره)[1]. وقد ظهر من كبار الأئمة الشافعية في هذه المرحلة: أبو القاسم عثمان الأنماطي (ت ٢٨٨هـ) أخذ عن الربيع والمزني بمصر ثم توطن بغداد، وتلميذه الإمام الكبير أبو العباس أحمد بن عمر ابن سريج البغدادي (ت ٣٠٦هـ) أحد كبار الشافعية كان يسمى شيخ المذهب، كما اشتهر آنذاك: عبد ان المروزي (ت ٢٩٣هـ) بمرو، وأبو زرعة الدمشقي (ت ٣٠٢هـ) بدمشق، وأبو عوانة (ت ٣١٦هـ) بإسفرايين، وقد تقدم ذكر الثلاثة الأخيرين.

وتقسيم الدكتور القواسمي قريب إلى ما ذهبتُ إليه، فقد اعتمدتُ (سنة ٣٠٧هـ) وهي سنة وفاة ابن الجارود المكي شيخ موسى المعافري (أول شخصية يمانية شافعية عرفت) كبداية لهذه المرحلة، ووفاة الفقيه إبراهيم بن موسى المعافري (ت حوالي ٤٠٠هـ) نهاية لها.

---

(١) القواسمي، **المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي**: ص٣٢٢ وما بعدها.

وكان بعض المؤرخين قد ترجموا للمحدث محمد بن يحيى ابن أبي عمر العدني[١] (توفي بمكة سنة **٢٤٣هـ**) على أنه من أوائل من أدخل فقه الشافعي إلى اليمن، ولكن ذلك بعيد جداً، فإنه كان مكياً، وكان في (عدن) قاضياً، ثم إن الحافظ الذهبي ذكر أنه تعمر (**٩٠** عاماً) أو نحوها، فيكون مولده قريباً من تاريخ مولد الإمام الشافعي، زد على ذلك: أنهم لم يذكروا أن لقاءً مباشراً قد تم بينهما.

كما ذكر ابن سمرة والجندي وتبعهما الأهدل: أبا سعيدٍ المفضَّلَ الجَنَديَّ (ت بعد **٣٣٥هـ**) ضمن هذه الطبقة، وهو وإن كان من الجَنَد، إلا أنه في عداد الكوفيين، ولم يذكر المؤرخون أنه عاد إلى اليمن، نعم بعض تلامذته عدادهم في أهل اليمن، كما سيأتي معنا فيما يلي.

أول من شُهِر بالتفقه على مذهب الشافعي من أهل اليمن:

١ـ الحافظ موسى بن عمران المعافري[٢] (ت بعد ٣٠٧ هـ):

هو الإمام الفقيه المحدث الحافظ موسى بن عمران بن محمد الخداشي السكسكي المعافري، أصله من مخلاف المعافر (المعروف في أيامنا هذه بالحُجَرِيَّة)، ثم كان يختلف إلى الجَنَد ومخلاف جعفر، وربما أقام بقرية الملحمة، وبها ذريته المعروفون ببني مَضْمُون.

---

(١) ابن سمرة، **طبقات فقهاء الشافعية: فقهاء اليمن**: ص٧٢، والذهبي، **تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٦**، وابن حجر، **تهذيب التهذيب ٩/ ٥١٨**، واليافعي، **مرآة الجنان**: ٢/ ٢٨٠، وبامخرمة، **تاريخ عدن**: ص٢٦١، نفس المؤلف، **قلادة النحر**: ١/ ١١٨١ (ترجمة: **١١٩٩**)، الزركلي، **الأعلام**: ٧/ **١٣٥**، وتاريخ وفاته عند اليافعي (**٣٢٠**هـ) وتبعه بامخرمة في تاريخ عدن، وهذا وهمٌ أو سبقُ قلم، نبَّه عليه الزركلي.

(٢) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٨٠، الجندي، **السلوك**: ١/ **٢١٦**، حسين الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ **٩٨**، و**١٥٨**، الطيب بامخرمة، **قلادة النحر**: ٢/ ١٧٢٢ (ترجمة: **١٦٩٩**).

شيوخه: أخذ الفقه عن الإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود[١] النيسابوري (ت ٣٠٧ هـ) صاحب كتاب «المنتقى» في الحديث، وروى عنه كتابه المذكور.

تلاميذه: أخذ عنه الفقه عبد العزيز بن ربحي الحرازي[٢]، وابنه الفقيه إبراهيم بن موسى المعافري (ت ٤٠٥هـ؟)، الآتية ترجمته.

منزلته العلمية: اتفق المؤرخون اليمانيون على أنه أول من عرف بالتفقه على المذهب الشافعي، وأنه أول من عمل على نشره وتعليمه بين أهل الجبال، ولم يخالف في هذا إلا المؤرخ الطيب بامخرمة فنسب الانتشار لابنه إبراهيم، وسوف أنبه على هذا الوهم في ترجمته الآتية.

سنده في المذهب: تفقه على ابن الجارود المكي (ت ٣٠٧هـ) وهو أخذ الفقه عن الإمام أبي علي الحسن بن محمد الزعفراني (ت ٢٦٠هـ) وهو عن الإمام الشافعي. فطبقته عالية جداً، فبينه وبين الإمام الشافعي اثنان فقط.

وفاته: لم يحدد مترجموه تاريخ وفاته، وبعيد جداً ما ذهب إليه الجندي في تاريخه: من احتمال أن عمره طال حتى أدرك ابنه إبراهيم وصاحبه القاسم القرشي، فأخذ عنهما (من باب أخذ الأكابر عن الأصاغر)، وأرى أن وفاته لم تتأخر عن سنة ٣٥٠هـ إن لم تكن قبلها، والله أعلم.

---

(١) ابن الجارود هذا هو المحدث صاحب «المنتقى» في الحديث، **من مصادر ترجمته**: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**: ٣/ ٧٩٤، **وقد وهم** الأستاذ فؤاد سيد رحمه الله في تحقيقه **لطبقات ابن سمرة** (ص ٨١، هامش ١)، فترجم لموسى ابن أبي الجارود المكي، أحد أصحاب الإمام الشافعي، والراوي عنه كتاب الأمالي، وسبب وقوعه في هذا الوهم: أن ابن سمرة في **طبقاته** سماه (ابن أبي الجارود)!

(٢) هو الفقيه عبد العزيز بن ربحي (أو: زنجي)، من قرية حُرازة بالمعافر، لقيه القاسم القرشي وسمع عليه المنتقى لابن الجارود سنة ٣٩٠هـ. **ينظر**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٨١، الجندي، **السلوك**: ١/ ٢٢٨، الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ ١٦٦، الطيب بامخرمة، **قلادة النحر**: ٢/ ١٧٢١ (ترجمة: ١٦٩٨).

٢ـ أبو الحسن التاجر العدَني[١] (توفي بعد ٣٣٥ هـ):

هو الفقيه التاجر المغيرة بن عمرو بن الوليد العدَني، من أهل عدن كان تاجراً بها، طلب العلم بمكة المكرمة، اشتهر عند أصحاب الطبقات بالمغيرة العدني التاجر.

شيوخه: تفقه بمكة المكرمة على الإمام المفضل الجندي[٢] (ت بعد **٣٣٥هـ**) وحمل عنه كتاب (سنن أبي قُرَّة)، بروايته لها: عن شيخه أبي حُمَةَ محمد بن يوسف الجندي، عن مصنفها أبي قرة موسى بن طارق الرعرعي اللحجي ثم الجندي (ت **٢٠٣ هـ**).

سنده في المذهب الشافعي: عن شيخه المفضل الجندي، وهو عن إبراهيم بن محمد ابن العباس الشافعي (ت **٢٣٧هـ**)، عن الإمام الشافعي، وهو سند عال جداً.

تلامذته: أخذ عنه الفقيه أبو الخطاب ابن عنبسة العدني[٣] (ت **٤٢٠هـ**)، وروى عنه سنن أبي قرة الجندي بسنده إلى مصنفها.

وفاته: لم تعلم سنة وفاته، وبينَ أخذِه عن شيخه الجنَدي سنة **٣٣٥هـ**، ووفاةِ تلميذه ابن عنبسة (**٨٥** سنة)، فلعل وفاته كانت في حدود **٣٧٠هـ**، والله أعلم.

---

(١) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٧٠ و٧٤، والجندي، **السلوك**: ١/ **١٤٥** و**٢١٦**، و الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ **١٥٧**.

(٢) هو أبو سعيد المفضل بن محمد الشعبي الحِميَري الجنَدي اليماني، الكوفي وفاة، من نسل الإمام الشعبي، عداده في الكوفيين من همدان. **ينظر**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: **٦٩-٧١**، الجندي، **السلوك**: ١/ ١٤٨، **٢١٦**، الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ ١٠١، ١٥٦.

(٣) هو الفقيه القاضي عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن عنبسة العدني، أبو الخطاب، من أبين، ولي القضاء بعدن فنسب إليها. **ينظر**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٧٠، ٧٤، الجندي، **السلوك**: ١/ **٢١٨**، بامخرمة، **تاريخ عدن**: ص١٦١ ترجمة (**١٧٥**).

٣ـ الفقيه عبد الله الزرقاني(*) (توفي بعد ٣٦٠ هـ):

هو الإمام الفقيه الكبير أبو محمد، عبد الله بن علي الزرقاني، نسبة إلى بني زرقان حيٍّ من مراد، كان يسكن الصَّردَف وهي على ثلث مرحلة من الجنَد، كان فقيهاً كبيراً رحالاً في طلب العلم، وكانت له أراض كثيرة، وهو من الفقهاء المعدودين في اليمن، ومن المتقدمين في نشر المذهب الشافعي بها، وقد ظهر من بيته عدد من الفقهاء.

شيوخه: سمع الفقيه الزرقاني من طبقة عالية من شيوخ المذهب الشافعي، منهم:

١ـ أبو علي الحسن بن الخضر الأسيوطي (ت ٣٦١هـ)، تفقه على يديه بمكة المكرمة سنة **٣٥٣**هـ، وهو أخذ الفقه سنة **٣٠٨** هـ عن أبي جعفر أحمد الطحاوي (ت **٣٢١**هـ)، وهو تفقه بخاله إسماعيل المزني (ت **٢٦٤**هـ) صاحب الشافعي.

٢ـ أبو زيد محمد بن أحمد المروزي (ت **٣٧١**هـ)، أحد أصحاب شيخ المذهب الإمام أبي العباس ابن سريج (ت **٣٠٦**هـ) وهو عن الأنماطي (ت **٢٨٨**هـ) عن الربيع المرادي (ت **٢٧٠**هـ) عن الإمام الشافعي[1].

تلامذته: تفقه على يديه القاسم بن محمد القرشي (ت **٤٣٧**هـ) الآتي ذكره.

(*) **مصادر ترجمته**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٨١-٨٢، الجندي، **السلوك**: **١/ ٢١٨-٢١٩**، الأهدل، **تحفة الزمن**: **١/ ١٥٩**، الطيب بامخرمة، **قلادة النحر**: **٢/ ١٥٦١** (ترجمة: **١٥٤٨**).

(١) ومما أخذه الزرقاني عن الشيخ أبي زيد: الجامع الصحيح للبخاري، بروايته وسماعه له من الإمام الفربري (ت **٣٢٠**هـ) صاحب البخاري، وأغرب ابن سمرة: فذكر أنه الزرقاني سمع الصحيح من أبي زيد في مدينة ذمار باليمن!وأفاد في (ص ٨١): أن القاضي طاهر بن أبي الخير العمراني اطلع على الأصل الذي سمعه الزرقاني على أبي زيد فوجده مخالفاً لسماع أبي ذر الهروي (ت **٤٣٤**هـ)، وأفاد أيضاً في نفس المرجع: أن هذا الأصل كان محفوظاً ببلدة (ذي أشرق) موقوفاً بها مع بقية كتب الفقيه الزرقاني.

١٩٩

وفاته: ولم تؤرخ وفاة الزرقاني، إلا أن القاضي الطيب بامخرمة (ت **٩٤٧**هـ) عده العشرين الثالثة من المائة الرابعة (بين: **٣٤٠**هـ، و**٣٦٠**هـ)، ولعله مات بعد هذه الحقبة، والله أعلم.



المرحلة الثانية

مرحلة التوسط في الانتشار (٤٠١ – ٥١٥هـ)

وهذه المرحلة ظهر فيها مجموعة من الفقهاء تاقت نفوسهم للرحلة في طلب العلم ومكابدة الأسفار، ثم عادوا ونشروا علومهم في بلدانهم، ونشروا الفقه في الجبال وعدن ونواحيها، والبعض منهم لم يعد إلى اليمن إلا في آخر عمره وبقي في مهجره ينشر العلم، كابن سراقة العامري في البصرة.

وشهدت هذه المرحلة وما بعدها قدوم عدد من جلة الفقهاء وأئمة الدين واستيطانهم أرض اليمن، وكان لهم دور كبير في تثبيت العلن ونشر الفقه، وكان رجال هذه الطبقة من كبار الفقهاء والمصنفين، ولم يكونوا مجرد نقلة، وساهموا في نشر المذهب بصورة أكبر من سابقيهم، إذ كان الفقه الشافعي بدأ ينتشر في أطراف البلاد وأكنافها، وكان رجال هذه الطبقة همُ المرجع لأهل اليمن عاليه وسافله، وقاموا بكفاية أهلِ بلادهم عن الرحلة إلى غيرهم. ويمكن لنا أن نطلق على هذه الفترة الزمنية بـ (عصر مختصر المزني وشروحه)، حيث كان التركيز في التعليم عليها حينذاك، كما ذكر ابن سمرة رحمه الله.

قال ابن سمرة (ت **٥٨٦هـ؟**): «وكان أهل اليمن في **المائة الخامسة** وما **قبلها** يتفقهون بكتاب المزني، وبأصول الفقه بكتاب الرسالة للشافعي وبمصنفات القاضي أبي الطيب والشيخ أبي حامد، وكتب أبي علي الطبري، وكتاب ابن القطان، ومصنف المحاملي، وشروح المزني المشهورة، وبالفروع لسليم بن أيوب الرازي»[١]. انتهى. وإلى هذه المرحلة لم يبلغنا ظهور أحد من فقهاء حضرموت، لكن ظهروا في المرحلة الثالثة الآتي ذكرها.

---

(١) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص١١٨.

فمن أَجَلِّ فقهاء هذه الطبقة:

ـ الإمام الحسين المراغي(*) (ت بعد ٤٠٠ هـ):

هو الفقيه الإمام الأصولي المحدث، الحسين بن جعفر بن محمد المراغي، من فقهاء العراق، هاجر من مكة إلى بلاد اليمن، وتوطنها، وعد من أهلها، وتوفي بها.

شيوخه: طلب العلم ببغداد، فأخذ بها عن: الحافظ الإمام أبي الحسين محمد بن المظفر البغدادي (ت **٣٧٩**هـ)، وهو تفقه على جماعة منهم الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت **٣١٢**هـ) عن خاله المزني (ت **٢٦٠**هـ). وأخذ **مختصر المزني** عن الفقيه الحسين بن هارون البراشي البردعي، عن الإمام الحافظ أبي بكر عبد الله ابن زياد النيسابوري المتوفى ببغداد (ت **٣٢٤**هـ)، عن مؤلفه الإمام المزني (ت **٢٦٠**هـ).

نشره المذهب وتلامذته في اليمن: كان الفقيه بمكة المكرمة في سنة **٣٨٨** هـ، فلقيه بها الفقيهان: القاسم بن محمد القرشي (ت **٤٣٧**هـ) ورفيقه أحمد بن عبد الله الصعبي، (وهما أشهر تلامذته)، فقرءا عليه مختصر المزني، وسننه، وسنن الربيع المرادي، ثم سألاه القدوم معه إلى اليمن وبذلا له ما يحتاجه، فأجابهما، فسار إلى اليمن، وكان تدريسه بقرية (سهفنة) التي كانت معمورة بالعلم والعلماء، وكان يقرئ مختصر المزني في اليمن، وممن أخذ عنه: الفقيه أبو الفتوح ابن ملامس، وسيأتي. وكانت قد حدثت بينه وبين ابن سراقة العامري أمور وخلافات علمية أوجبت المنافرة بينهما.

(*) **مصادر ترجمته**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: فقهاء: ص٨٣-٨٤، الجندي، **السلوك**: **١/ ٢٣٢-٢٣٣**، الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ ١٦٩-١٧٠، الطيب بامخرمة، **قلادة النحر**: **٢/ ١٧٢٠** (ترجمة: **١٦٩٧**).

والغريب: أنه لا توجد ترجمة له في غير المصادر اليمنية، ثم وقفت على ذكر من يحتمل أن يكون أخاً له لقرب زمنه وتشابه اسمه (الثلاثي) مع هذا، وهو: العلامة الأديب محمد بن **جعفر بن محمد** الهمداني المعروف بابن **المراغي**، سكن بغداد ومات بها سنة **٣٧١**هـ، له مصنفات في الأدب واللغة. **ينظر عنه**: السيوطي، **بغية الوعاة**: ١/ ٧٠، الزركلي، **الأعلام**: ٦/ ٧١.

وفاته: سكن آخر عمره بوادي الحاجب ـ وهو في الشمال الشرقي من تعز لا يزال معروفاً إلى اليوم ـ وكان اشترى به أراضي كثيرة، وتوفي باليمن بقرية **السرة** وهي لا تزال عامرة إلى اليوم، أو بقرية **الفُهنة** وهي اليوم خربة غير مسكونة. قال الجندي: (ولم أتحقق له تاريخاً، بل زمنه مأخوذ من زمن القاسم وابن ملامس والهيثم، فإنهم تلاميذه، فاعلم ذلك). انتهى. والقاسم توفي سنة **٤٣٧هـ**، والله أعلم.

*** مصنفاته الفقهية:**

١ـ كتاب التكليف، في الفقه: ذكره الجنَدي، والحاج خليفة في كشف الظنون (١/ ٤٧٠)، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ١٦٣).

٢ـ كتاب ما لا يسع المكلف جهله من علم الصلاة: ذكره الجندي، والحاج خليفة في كشف الظنون (١/ ١٥٧٥)، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ١٦٣).

٤ـ الفقيه إبراهيم بن أبي عمران المعافري(*) (ت ٤٠٥هـ):

هو الإمام الفقيه الحافظ إبراهيم بن أبي عمران موسى بن عمران الخداشي السكسكي نسباً، السحولي المعافري مسكناً. وكان عالماً زاهداً ورعاً حافظاً بارعاً، كما وصفه ابن سمرة، وأغرب القاضي الطيب بامخرمة في قلادته بقوله: (وكان أول من نشر المذهب الشافعي باليمن في أول ظهوره)، وهذا الوصف إنما ينطبق على أبيه موسى كما تقدم (الترجمة: ١)، لا على ابنه إبراهيم هذا، ولعلها التبست عليه عبارة الجندي، فليحرر.

شيوخه: أخذ الفقه عن أبيه الإمام موسى المعافري السابق ذكره، ثم رحل إلى مكة وأخذ بها عن أبي رجاء محمد بن حامد البغدادي التميمي (ت **٣٤٠هـ**) فقرأ عليه مختصر المزني.

(*) **مصادر ترجمته**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٩٨، الجندي، **السلوك**: ١/ **٢٣٩**، الطيب بامخرمة، **قلادة النحر**: ١/ ١٣٥١ (ترجمة: ١٤٠٢).

وأغرب ابن سمرة في طبقاته، فقال: إن المترجم أخذ عن الفقيه القاسم بن محمد القرشي (ت **٤٣٧هـ**)، وهذا غريب ومستبعد، لأن صاحب الترجمة أقدم طلباً للعلم من القاسم، وأعلى طبقة منه، فهو يعد من طبقة شيوخه لا أقرانه، فضلاً عن أن يكون من تلاميذه.

تلامذته: تفقه على يديه جماعة أشهرهم: الفقيه يعقوب بن أحمد البعداني، والفقيه أسعد بن الهيثم (ت **٤٨٩هـ**).

منزلته العلمية: أثنى ابن سمرة على الشيخ وتلميذيه بقوله: «وكان هذا الشيخ إبراهيم والتلميذان من أفضل الفقهاء في زمانهم، زهداً وعلماً وورعاً وعبادةً، وكانت دراستهم يومئذ: مختصر المزني، وبعض شروحه، والإفصاح لأبي علي الطبري»[1]. انتهى.

وفاته: أرخ وفاته ابن سمرة في سنة **٤٥٠هـ**، وأشار المحقق الأستاذ فؤاد سيد إلى أنها في بعض النسخ الخطية للطبقات تقرأ: خمس وأربعمائة (**٤٠٥هـ**)، وكلاهما يتأرجح الباحث في إثبات أحدهما، فالأول أقرب من تاريخ وفاة تلميذه ابن الهيثم (ت **٤٨٩هـ**)، والثاني: هو الأقرب إلى إثباته في أول هذه المرحلة قريباً من طبقة والده، والله أعلم بحقيقة الأمر.

وذكر الجندي أنه لم يزل الفقهاء والأخيار في عقبه، وأنه زار ضريحه سنة **٧١٣هـ**، وسأل عن كتبه وكتب أسرته، فقيل له: أن غالبها قد فات بالعارية والنهب وتقاسم الورثة، ولم يبق منها إلا اليسير! ولعمري إن هذه الشكوى لم تزل قائمة منذ القدم، ولعلها تبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص١١١.

٥ـ الإمام ابن سراقة العامري[*] (ت بعد ٤١٠ هـ):

هو الإمام الفقيه الفرضي المحدث الحافظ، أبو عبد الله، أو: أبو الحسن، محمد بن يحيى ابن سراقة العامري المعافري البصري، أصله من المعافر باليمن، ولد بها ثم ارتحل إلى العراق لطلب العلم، وكان رحّالاً جوّالاً، فدخل آمد وأقام بها مدة، ودخل بلاد فارس وأصبهان، والدينور، والأهواز، حتى انتهى به المقام في البصرة.

شيوخه: أخذ الحديث بالموصل عن الحافظ أبي الفتح الأزدي الموصلي (ت ٣٦٧هـ) ثم أخذه ببغداد عن الحافظ الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) وغيرهما، وأخذ علم الفرائض بالبصرة عن أبي الحسين ابن اللبان (ت ٤٠٢هـ) وكان إماماً فيه. وتفقه ببغداد على الشيخ أبي حامد الإسفراييني (ت ٤٠٦ هـ)، وأخذ عنه الفقه، وهو تفقه بها على أبي القاسم عبد العزيز الداركي (ت ٣٧٥ هـ)، وهو تفقه بمصر على أبي إسحاق إبراهيم المروزي (ت ٣٤٠هـ)، وهو تفقه ببغداد على شيخ المذهب الإمام أبي العباس ابن سريج (ت ٣٠٦هـ).

منزلته العلمية: ذكره الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) في كتابه «روضة الطالبين»، في كتاب الفرائض، ونقل عنه تصحيحه الردَّ على ذوي الأرحام إذا لم ينتظم بيت المال، وقال: «صححه وأفتى به الإمام أبو الحسن ابن سراقة، من كبار أصحابنا ومتقدميهم، وهو أحد أعلامهم في الفرائض والفقه»[1]، وذكره غيره والجميع أثنوا عليه بما هو أهله.

(*) **مصادر ترجمته**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٨٤-٨٦، و١٠٧، الجندي، **السلوك**: ١/ ٢٢٢، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**: ١٧/ ٢٨١، الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ ١٦٢، الإسنوي، **طبقات الشافعية**: ١/ ٣٢٠، ابن الصلاح، **طبقات الشافعية**: ١/ ٢٨٥، السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**: ٤/ ٢١١، ابن هداية الله، **طبقات الشافعية**: ص١٣٠، الحاج خليفة، **كشف الظنون**: ١/ ١٣٩٤، البغدادي، **هدية العارفين**: ٢/ ١٢٨، الزركلي، **الأعلام**: ٧/ ١٣٦، الحبشي، **مصادر الفكر الإسلامي**: ص١٩٣، ٣٠٩، ٥٧٥، د. محيي هلال السرحان، مقدمة تحقيق **كتاب أدب الشهود** لابن سراقة، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م): ص١٥-٥٤.

(١) الإمام النووي، **روضة الطالبين**، (المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ): ٦/ ٦.

تلاميذه: لم يسم المؤرخون من تلامذته غير أبي الفتوح ابن ملامس (ت **٤٢٠**هـ).

وفاته: قال السبكي: «كان حياً سنة أربعمائة، وأراه توفي في حدود سنة عشر وأربعمائة»، والمؤرخون متفقون على أنه كان حياً سنة **٤٠٠**هـ، وذكر ابن سمرة: أنه توفي في وطنه الأول (المعافر) بعد عودته من العراق والحجاز.

*** مصنفاته الفقهية:**

ترك ابن سراقة ثروة علمية من خلال ما ألفه من كتب ومؤلفات نافعة، أوصلها بعض الباحثين إلى (١٨) مؤلفاً، كلها في الفقه أو فروعه أو متعلقاته عدا كتابين في فنون أخرى، وبعض هذه العناوين رأيته تكرر فاستبعدت ما تكرر فتحصل (**١٤** كتاباً)، وهي:

أ ـ مصنفات مفقودة:

١ـ كتاب أدب الأئمة والحكام وبيان ما يتعلق بهم من الأحكام: ذكره ابن سراقة نفسه في مقدمة كتابه (أدب الشهود): ص١١٧.

٢ـ ما لا يسع المكلف جهله: في الفقه، وقف عليه الإمام الإسنوي (ت **٧٧٢**هـ) وذكره في ترجمته، وذكره من ترجم له بعده، ولأحد معاصريه من الفقهاء الشافعية وهو الفقيه أبو بكر ابن لال (ت **٣٩٨**هـ) كتاب بنفس الاسم.

٣ـ أدب القضاء (القضاة): ذكره السبكي، وابن قاضي شهبة، والبغدادي وكحالة.

٤ـ كتاب في أصول الفقه: ذكره الزركشي (ت **٧٩٤**هـ) في كتابه (البحر المحيط)، ونقل عنه (١/ ٧، و**٣٤١**).

٥ـ كتاب التعليق: ذكره الزركشي (ت **٧٩٤**هـ) في البحر المحيط (**٢/ ٢٠٧**) ونقل عنه.

٦ـ كتاب التلقين في الفروع: ذكره ابن قاضي شهبة، ووصفه بأنه في مجلد متوسط، وذكره الحاج خليفة، والبغدادي، وكحالة وغيرهم.

٧ـ **كتاب الحيل الشرعية**: ذكره الحاج خليفة في كشف الظنون (١/ ٦٩٥)، وتابعه البغدادي في الهدية (٢/ ١٢٨)، وإيضاح المكنون (١/ ٤٢٥)، وكحالة.

٨ـ **شرح مختصر المزني**: ذكره الحاج خليفة في كشف الظنون (١/ ١٦٣٥)، وتابعه البغدادي في هدية العارفين (٢/ ٦٠)، وكحالة.

مصنفاته في علم الفرائض خاصة:

٩ـ **كفاية المبتدي (المهتدي)**: مصنف في الفرائض، كان عمدة طلاب العلم في معرفة هذا الفن باليمن، ذكره ابن سَمُرة في طبقاته (ص ١٠٧).

١٠ـ **الشافي في الفرائض والوصايا والدور**: ذكره ابن قاضي شهبة في طبقاته.

١١ـ **الكشف عن أصول الفرائض بذكر البراهين والدلائل**: ذكره ابن قاضي شهبة، وقال عنه: (كتاب كبير في مجلد ضخم).

مصنفاته في الأعداد والمساحة:

١٢ـ **كتاب الأعداد**: وقف عليه ابن الصلاح ونقل عنه أشياء، كما ذكر السبكي (٤/ ٢١٢)، كما اطلع عليه الإسنوي (ت ٧٧٢هـ) وقال عنه: «وقع لي من تصانيفه: كتابه في الشهادات، وكتابه في الأعداد، وهو مشتمل على أشياء أخرى غريبة»، وقال الحاج خليفة في كشف الظنون: (تأليف غريب، يذكر فيه مراتب الأعداد، ويذكر ما ورد منها في القرآن، وما رتب عليها من الأحكام، أو وافقها في العدد).

١٣ـ **التفاحة في مقدمات المساحة**: رسالة ذكرها الزركلي، وقال إنه وقف عليها في مكتبة الفاتيكان، تقع في ورقة واحدة، رقمها (A. I ٠٢٠) .

ب ـ المصنفات الموجودة:

١٤ـ **آداب (أدب) الشاهد وما يثبت به الحق على الجاحد**: كذا سماه مصنفه في مقدمته، وقف عليه التاج السبكي (ت ٧٧١هـ) وذكره في طبقاته الوسطى، وقال عنه:

«مصنف مليح في الشهادات»، كما وقف عليه الإسنوي (ت ٧٧٢هـ). وقبلهما رآه الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) واستحسنه. وقد طبع قريباً بعنوان (أدب الشهود).

نسخه: توجد من هذا الكتاب نسخة فريدة في مكتبة (بغدادلي وهبي أفندي) بتركيا، المضمومة إلى المكتبة السليمانية الكبيرة، وهو العاشر ضمن مجموع رقم (٢٠٠٣)، يقع في (٢٣ ورقة) غير مؤرخة.

طبعته: قام بتحقيق هذا الكتاب النافع على نسخته الخطية الوحيدة الدكتور محيي هلال السرحان، وكان قد استجلبها وقرأها سنة ١٩٦٨م، وفرغ من تحقيقها في ١٢/ ربيع الأول/ سنة ١٤١٩هـ، وصدر عن دار الكتب العلمية، بيروت، في طبعته الأولى لعام ٢٠٠٥م، وجاء في (٢٥٥ صفحة)، مزود بفهارس علمية ومقدمة حوت دراسة عن المؤلف وعصره، ونص الكتاب المحقق يقع في (٨٥ صفحة: ص١١٧- ٢٠٢).

٦ـ الإمام القاسم القرشي(*) (ت ٤٣٧ هـ):

هو الإمام الفقيه عمدة أهل اليمن، وشيخ الشافعية في صنعاء وعدن، القاسم بن محمد بن عبد الله الجمَحِي القُرَشي نسباً، السَّهْفَني بلداً (نسبة إلى قرية سهفنة)، مولده في النصف الأول من المائة الرابعة، حوالي سنة ٣٤٠هـ.

شيوخه: كان أول طلبه للعلم أواسط المائة الرابعة، فدخل في بدايته إلى زبيد وأخذ بها عن الفقيه أبي بكر ابن المضرِّب أخذ عنه مختصر المزني وبعض شروحه، وهذا الفقيه أخذ العلم عن شيخ يدعى ابن المثنى وهو تفقه بأبي حامد المروزي (ت ٣٦٢هـ)، وهو بأبي إسحاق المروزي (ت ٣٤٠هـ)، وهو عن ابن سريج، إلى آخر السند (تقدم). ثم أخذ عن الفقيه عبد الله بن علي الزرقاني، والفقيه عبد العزيز بن ربحي المعافري، وكلاهما تقدم ذكره.

(*) **مصادر ترجمته**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٨٧-٩١، الجندي، **السلوك**: ١/ ٢٢٨-٢٣٠، الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ ١٦٦-١٦٨.

ثم رحل إلى مكة سنة ٣٨٨ هـ، فلقي بها فقيهاً مروزياً يدعى أبو بكر أحمد بن إبراهيم المروزي، فأخذ عنه سنن أبي داود، بروايته لها عن أبي سعيد ابن الأعرابي (ت ٣٤٠هـ) عن مصنفها أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، كما سمع منه موطأ الإمام مالك.

ولقي في هذه السنة بمكة الفقيه الحسين المراغي، وتقدم ذكر خبره معه في ترجمته قريباً، كما لقي: الحسن بن أحمد بن محمد المقري النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، الراوي عن أبي بكر الأدفوي (ت ٣٨٨هـ)، عن أبي جعفر الصفار ابن النحاس (ت ٣٣٧هـ)، عن أبي إسحاق الزَّجَّاج، عن شيوخه. وأخذ عنه علاوة على الفقه: علمَ الأصول، والحديث، والكلام، والقراءات، ومعاني القرآن، في شيوخ آخرين.

تلامذته: قال ابن سمرة: «هو الذي انتشر عنه مذهب الشافعي في مخلاف الجند وصنعاء وعدن، ومنه استفاده فقهاء هذا المذهب في هذه البلاد، وكانت مدرسته في سهفنة[1]، فأخذ عنه شافعية المعافر، ولحج، وأبين، وأهل الجند، والسحول، وأحاظة، وعنة، ووادي ظبا، جمع مجلسه القرباء والبعداء، وأخذ عنه العلم خلق كثير». انتهى. وذكر منهم: إسحاق العشاري المعافري، وجعفر بن عبد الرحيم المحابي، وعمر بن إسحاق المصوع، وابنه عبد الله بن عمر، وأبو الخير أيوب بن كديس[2]، وإبراهيم بن أبي

(١) قرية (سهفنة) هذه قال عنها الجندي (١/ ٢٢٩): «هي إحدى قرى الجبال المقصودة لطلب العلم من عصر هذا الرجل [يعني: القاسم] إلى عصرنا [منتصف القرن الثامن]، لم تخلُ من فقيه مدرس، وطلبة مجتهدين، حتى استولى عليها بعض الصعبيين فصرف وقفها في غير وجهه، فصرف الله عنه البركة ولم يبق فيها فقيه من أهلها ولا غيرهم، لاستيلاء من لا نظر له على ما وقف لمدرس ودرسة». انتهى.

(٢) هو الفقيه أيوب بن محمد بن كُدَيس، تولى التدريس بعد شيخه في سهفنة، ثم سكن ظبا، وكان ينادَى له في الحرَم كلَّ عام: (من أراد الورق والورق والسماع العالي فعليه بأيوب بن محمد بن كديس، في ظبا من أرض اليمن). سمع من أبي ذر الهروي في المسجد الحرام بمكة المكرمة سنة ٤٠٧ سبع وأربعمائة، توفي سنة ٤٥٠هـ تقريباً، وقيل: سنة ٤١٠هـ، وقيل: ٤٠٥هـ. **ينظر**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٩٧.

عمران السكسكي (تقدم)، وعبد الملك بن أبي ميسرة اليافعي، وأسعد بن خلاد، ومحمد ابن سالم بن عبد الله (ت ٤٥٦هـ)، وغيرهم.

منزلته العلمية: قال فيه ابن سمرة: «إمام أئمة الشافعية من صنعاء وعدن، الذي نفع الله به المسلمين، وعضد به الدين، أوحد عصره، وفريد دهره»، إلخ، وقال الجندي: «الإمام المشتهر البركة، الذي عمت بركته، واشتهرت رئاسته. وكان من علماء اليمن وعظمائهم، انتشر عنه المذهب انتشاراً كاملاً، وطبق الأرض (وفي نسخة: اليمن) بالأصحاب، لم يكن لأحد في المتقدمين من أهل اليمن أصحاب كأصحابه كثرةً وفضلاً». انتهى.

وفاته: كانت وفاته بقريته (سهفنة) سنة ٤٣٧هـ، رحمه الله.

٧ـ الفقيه ابن ملامس(*) (ت بعد ٤٢٠ هـ):

هو العلامة الفقيه أبو الفتوح يحيى بن عيسى بن إسماعيل بن محمد ابن مُلامس، من قرية المشيرق بمخلاف جَعفَر، من جبال اليمن، من عزلة في المشيرق تعرف بـ(القِرانات)[١].

شيوخه: تفقه باليمن على الإمام الحسين المراغي، والإمام محمد بن سراقة، ثم ارتحل إلى مكة المكرمة ولقي بها أبا حامد الإسفراييني وكانت بينهما مذاكرات فقهية كما سيأتي ذكره.

تلامذته: أخذ عنه ابنه الفقيه خير بن ملامس (ت ٤٨٠هـ)، والفقيه أحمد بن عبد الله بن إبراهيم السلالي الكناني الذي سمع منه جامع الترمذي سنة ٤٢٠هـ[٢].

(*) **مصادر ترجمته**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٩١-٩٣، الجندي، **السلوك**: ٢٣٠-٢٣١، الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ ١٦٨-١٦٩، الطيب بامخرمة، **قلادة النحر**: ٣/ ٣٥٦ (ترجمة: ١٨٣٧).

(١) ذكر القاضي محمد بن علي الأكوع في تعليقاته على **السلوك** (١/ ٢٣٠، هامش: ٣): أن عزلة القرانات هذه تابعة لمخلاف (بعدان)، ولا تزال عامرة بالسكان، أما العلم فإنما يوجد محله جهل مركب!

(٢) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص١٠٢.

منزلته العلمية: وصفه ابن سمرة بالإمامة في العلم، وقال فيه الجندي: «كان من أعيان العلماء وأكابر الفضلاء»، وروى ابن سمرة عنه: أنه اجتمع أثناء مجاورته بالشيخ أبي حامد الإسفراييني (ت **٤٠٤**هـ) وعليه حلل فاخرة أشبه بثياب الملوك، وكان الناس يعظمونه.

قال: «وحضرت معه مجلسَ مذاكرة، فألقى عليَّ ستين مسألة، ما أخطأتُ القولين من الوجهين، ولا وجهين إلى قولين، ثم استأذنتُه في الإلقاء عليه، فأذن لي، فألقيتُ عليه، فصار يجيبني بأحدِ القولين، أو بأحد الوجهين، تارة بنص وتارة بنظر. فلما فطن أني استقصرتُ حفظَه، **قال**: ما أنت إلا ذكي فاهم فطن، تصلح لطلب العلم، فهل لك في الرواح معي إلى بغداد، وأجعلك ملقيَ مدرستي، وأكبر أصحابي عندي! فلم أزد على شكره وتحسِين قوله، إجلالاً للعلم وأهله، واعتذرتُ بأني لم أخرج من اليمن على هذه النية»[1].

وفاته: توفي ببلده بعد سنة عشرين وأربعمائة (بعد **٤٢٠**هـ)، قال الجندي: «وتوارث ذريته العلم مدة، ولم يكد يعلم منهم أحد في عصرنا [سنة **٧٢٢**هـ]، ولقد بحثت عن ذلك وقت دخلت بلده سنة (**٧١٠**هـ) فلم أجد، ولا وجدت من يحقق لي تربته لقدم العهد به وبذريته، وكتبهم يوجد بعضها بأيدي ذرية الهيثم، والبعض مع غيرهم». انتهى.

*** مصنفات الفقهية:**

ـ **شرح مختصر الإمام المزني**: صنفه بمكة المكرمة في أربع سنين أثناء مجاورته للحرم الشريف، وكان يكتبه مقابل الكعبة الشريفة، واعتمد في شرحه على: كتب القاضي أبي علي ابن أبي هريرة (ت **٣٤٥**هـ) وأشهرها التعليق الكبير على مختصر المزني، وكتب أبي إسحاق المروزي (ت هـ)، وكتب أبي علي الطبري (ت **٣٥٠**هـ). وكان هذا الشرح مشهوراً في اليمن، كما ذكر ابن سمرة (ت **٥٨٦**هـ؟)[2]، وأما اليوم فهو في عداد المفقودات.

---

(١) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص**٩٢-٩٣**.

(٢) ابن سمرة، **المصدر السابق**: ص**٩١**.

المرحلة الثالثة

مرحلة تمام الانتشار (٥١٥-٦٠٠هـ)

(عصر مصنفات أبي إسحاق الشيرازي)

في هذه المرحلة استوى المذهب وقام على ساقه في اليمن، ودخلت مصنفات أبي إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) إلى اليمن، فاحتفل بها الفقهاء، وعكفوا عليها، وانتشرت في طول البلاد وعرضها، وكانت بعد ذلك هي المعتمد في الفتوى والتدريس. إن هذه المرحلة تشكل همزة الوصل الحقيقية لربط المذهب الشافعي في حضرموت بأصوله، وهذا هو لب البحث الذي نحن بصدده. وأجل فقهاء اليمن في هذه المرحلة: الفقيه زيد اليفاعي (ت ٥١٥هـ)، والفقيه أبو الفتوح ابن أبي عقامة (ت بعد ٥٤٣٠هـ) وأسرته، والإمام ابن عبدويه (ت ٥٢٥هـ)، وتلميذه الإمام يحيى العمراني (ت ٥٥٨هـ) وأسرته، والفقيه القلعي الظفاري (ت ٥٧٧هـ)، وبه سيكون ختام حديثنا عن فقهاء الشافعية الأوائل الذين أثَّروا تأثيراً مباشراً في ظهور المذهب الشافعي في حضرموت.

قال ابن سمرة: «وكان أهل اليمن في **المائة الخامسة** وما **قبلها** يتفقهون بكتاب المزني؛ لأن **المهذَّب** لم يصل إلى اليمن إلا في آخر المائة الخامسة من هجرته ﷺ»[(١)]. وقال في موضع لاحق: «ثم يسّر الله للراغبين في الفقه الطالبين للدين، الكتابَ الشريفَ الفاضل،

(١) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص١١٨.

والتصنيفَ المبارك الكامل، فكان غاية المجتهدين، ونهاية المؤثرين، وهو «**كتاب المهذب**» المنتقى، والمطلب الذي صفى، به تفقه المصنفون، وعليه يعتمد المفتون، صنفه الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزأبادي (ت **٤٧٦**هـ)، شيخ الأئمة الثلاثة: الحسين بن علي الطبري (**٤٩٥**هـ)، وأبي نصر محمد بن هبة الله البندنيجي (ت **٤٩٥**هـ)، وأبي عبد الله محمد بن الحسن بن عبدوَيهِ المهروباني (ت **٥٢٥**هـ)، وغيرهم في مدينة السلام بغداد»(١).

وهذه المرحلة يمثلها أو يقابلها عند الباحث القواسمي(٢): الدور الفاصل بين المرحلتين الثانية والثالثة من مراحل تطور المذهب الشافعي، فهي لاحقة لدور استقرار المذهب وثباته، وسابقة لمرحلة التنقيح الأول الذي قام على يد الإمامين الرافعي والنووي.

* سند الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في الفقه(٣):

من المناسب هنا أن أورد سند الشيخ أبي إسحاق في تفقهه بالمذهب الشافعي، لأنه الأكثر أتباعاً في اليمن، إذ جُلُّ طرقِ الفقهاء في اليمن وحضرموت تعود إليه.

ـ الإمام أبو إسحاق الشيرازي(*) (٣٩٣- ٤٧٦هـ):

هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الفيروزأبادي، ولد بشيراز سنة **٣٩٣**هـ، وتوفي ببغداد سنة **٤٧٦**هـ، أحد أعلام طريق العراقيين، إحدى الطرق في نقل

---

(١) ابن سمرة، **المصدر السابق**: ص١٢٦.

(٢) أكرم القواسمي، **المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي**: ص**٣٤١** وما بعدها.

(٣) **ينظر**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**:، وكتب طبقات الشافعية، ولا أطيل بذكر تراجم رجال السند لشهرتهم، ولأن ذلك مما يخرج البحث عن مساره.

(*) **مصادر ترجمته**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص١٢٧-١٣٣، ابن الصلاح، **طبقات الشافعية**: ١/ ٣٠٢، السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**: ٤/ ٢١٥-٢٥٦، وغيرها.

مذهب الإمام الشافعي عرَّفها الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) بقوله: «**طريقة العراقيين في** نقل نصوص الشافعي وقواعد مذهبه ووجوه متقدمي أصحابه أتقنُ وأثبت من نقل الخراسانيين غالباً، **والخراسانيون**: أحسن تصرفاً وتفريعاً وترتيباً غالباً»[١]. انتهى.

سنده الفقهي: يروي فقه الإمام الشافعي من طرق متعددة، تنتهي كلها إلى شيخ المذهب الإمام الباز الأشهب أحمد بن عمر ابن سريج البغدادي (ت **٣٠٦**هـ)، وهو كما تقدم تفقه بعثمان الأنماطي (ت **٢٨٠**هـ)، تلميذ الإمامين المرادي (ت **٢٦٠**هـ) والمزني (ت **٢٤٦**هـ) صاحبي الإمام الشافعي. وأعلى ما عنده أن يكون بينه وبين ابن سريج اثنان، وأنزل ما عنده: أن يكون بينه وبين ابن سريج أربعة، وتفصيل ذلك كالتالي:

فأعلى أسانيده: أن يكون بينه وبين ابن سريج اثنان: بأخذه عن الفقيه أبي أحمد عبد الوهاب بن محمد بن رامين البغدادي (ت **٤٣٠**هـ)، وهو تفقه بأبي الحسن ابن خيران البغدادي، وهو تفقه بابن سريج، وهذا عال جداً.

وأنزل أسانيده: روايته بأربع وسائط إلى ابن سريج: فقد تفقه في بغداد بأبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري (ت **٤٥٠**هـ)، وببلده شيراز بأربعة شيوخ جميعهم مع أبي الطيب الطبري تفقهوا بالشيخ أبي حامد أحمد بن طاهر الإسفراييني (ت **٤٠٦**هـ) وهو تفقه بشيخين:

أولهما: أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله الداركي (ت **٣٧٥**هـ) صاحب الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي (ت **٣٤٠**هـ) تلميذ ابن سريج. **وثانيهما**: أبو الحسن علي بن أحمد ابن المرزبان (ت **٣٦٦**هـ)، تلميذ أبي الحسن أحمد بن محمد بن القطان (ت **٣٥٩**هـ)، وهو آخر أصحاب ابن سريج وفاة. **ح** ويروي شيخه أبو الطيب طاهر الطبري (ت **٤٥٠**هـ) بنفس الدرجة، عن: أبي سعيد إسماعيل بن أحمد الإسماعيلي

(١) الإمام النووي، **المجموع شرح المهذب**، (مكتبة الإرشاد، جدة، د.ت): ١/ ٦٩.

(ت ٣٩٦هـ)، عن أبيه الحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي (ت ٣٧٠هـ) صاحب «المستخرج على الصحيح»، وهو تفقه بأبي إسحاق المروزي وهو بابن سريج.

وما بين هاتين المنزلتين (العليا والدنيا) طبقة وسطى، يرتفع سنده إلى ابن سريج فيها بثلاث وسائط، لا أطيل بذكرها، لتفرعها وتشعب أسانيدها، وفيما ذكرته كفاية، والله أعلم.

٨ـ الفقيه زيد اليفاعي[*] (ت ٥١٥هـ):

هو الإمام العلامة الفقيه، زيد بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم اليفاعي، نسبة إلى قرية (يفاعة) بلدة بالمعافر (تعرف اليوم باسم: الحُجَرِيَّة).

شيوخه: تفقه أولاً في علم الفرائض على صهره (أبي زوجته) الفقيه إسحاق الصردفي[١] (ت ٥٠٠هـ؟) مصنف كتاب «الكافي في الفرائض والحساب» أشهر كتابٍ لأهل اليمن في هذا الفن في ذلك العصر، وهو تفقه برجلين: **الأول**: بجعفر بن عبد الرحيم المحابي[٢] (ت ٤٦٠هـ)، **والثاني**: الفقيه إسحاق العشاري[٣]، وكلاهما من جلة أصحاب القاسم القرشي (ت ٤٣٧هـ). ثم أخذ عن الإمام أبي بكر بن جعفر المحابي[٤] (ت ٥٠٠هـ)، وقرأ عليه كتاب الفروع لسليم بن أيوب الرازي، وكتباً غيره، [وهو تفقه بأبيه الفقيه جعفر (ت ٤٦٠هـ)]، كما أخذ عن الفقيه أبي الفتوح ابن ملامس (ت ٤٢٠هـ؟) بعض محفوظاته ومسموعاته.

(*) **مصادر ترجمته**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص١١٩، الجندي، **السلوك**: ١/ ٢٦٢، الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ ١٩١-١٩٦.

(١) ابن سمرة، **المصدر السابق**: ص١٠٧.

(٢) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٩٤-٩٥.

(٣) كان فقيه المعافر، ولقب العشاري: لحفظه وإتقانه عشرة علوم، ابن سمرة، **المصدر السابق**: ص٩٦.

(٤) ابن سمرة، **المصدر السابق**: ص١٠٣.

ثم ارتحل إلى مكة المكرمة، فلقي بها اثنين من أصحاب أبي إسحاق الشيرازي: **أولهما**: الحسين بن علي الطبري[١] (ت **٤٩٥**هـ) مصنف العُدَّة التي شرح فيها الإبانة للفُورَاني، فقرأها عليه. **وثانيهما**: أبو نصر محمد بن هبة الله البندنيجي[٢] (ت **٤٩٥**هـ) مصنف المعتمد في الخلاف، فقرأه عليه، كما أخذ عنه كتابي: «المهذب» و«التبصرة» لشيخه أبي إسحاق. قال ابن سمرة: «كان الشيخ أبو نصر أعمى، وهو في الفقه دون الحسين، ومات بمكة قبله، فصلوا عليهما جميعاً، بعد أن جرت بينهما منافرة في حياتهما وافتراق أهوية». انتهى.

تلامذته: بعد أن طلب العلم في مكة عاد إلى اليمن (في حدود عام **٤٩٠**هـ)، **وهو أول من أدخل كتب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي إلى اليمن**. فقصد بلدة الجنَد فأقبل عليه طلاب العلم، وبلغ عددهم فوق الثلاثمائة يقوم بإعاشتهم كلهم قوتاً وكسوةً، وكان يقرئ كل من قصده فلذا كثر أصحابه، ثم إنه عاد إلى مكة لأمرٍ طرأ سنة **٥٠٠**هـ، وجاور بها مدة اثنتي عشرة سنة، كان المرجع للشافعية بها بعد شيخيه الطبري والبندنيجي، ولولا بعض الخلافات التي حدثت بين بعض قضاة مكة لطالت إقامته بها.

ثم إنه رجع إلى اليمن سنة **٥١٢**هـ، فتصدر للتدريس مرة أخرى، فأقبل عليه نحو العدد الذي اجتمع عليه أولاً وزيادة. قال ابن سمرة: «اجتمع عنده في الجنَد من جلة الفقهاء من تهامة، وأبين، **وحضرموت**، والسحول»[٣] إلخ، وقال الجندي: «فلم يبق باليمن من يقصد للمعضلات وحل المشكلات غير هذا الفقيه، فوصله طلبة العلم من عدن، وأبين، ولحج، ثم من تهامة، **وحضرموت**، ومن الجبال: المعافر، والمخلاف، ثم تفقه

---

(١) ابن سمرة، **المصدر السابق**: ص١٤٣، والسبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**: ٣/ ١٥٢.

(٢) ابن سمرة، **المصدر السابق**: ص١٤٣، والسبكي، **المصدر السابق**: ٣/ ٨٥.

(٣) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص١٥٢.

به جمع من أهل الجند ونواحيها: كسير، وزبران، وسهفنة، ونخلان، والسلف، وقياض، وما بلد من هذه البلاد إلا وفيها أصحاب عرفوا بالأخذ عنه». انتهى.

فمِنْ أَجلِّ مَنْ أخذ عنه: الفقيه الإمام أبو الخير يحيى العمراني (ت **٥٥٤**هـ) وأبو بكر ابن محمد اليافعي الجندي (ت **٥٥٢**هـ) وكان هو المقرئ في حلقة شيخه، وأبو حامد بن أبي بكر بن صبيح الأصبحي، ومسلم بن أبي بكر الصعبي، وعبد الله بن عمر العريقي، ويحيى ابن محمد، وعبد الله بن أحمد بن عبد الله الهمداني الزبراني (ت **٥١٨**هـ)، وعبد الله بن يحيى الصعبي، وغيرهم، وكانت القراءة في مصنفات الشيخ أبي إسحاق الشيرازي.

منزلته العلمية: قال في حقه ابن سمرة الجعدي: «أستاذ الأستاذين، وشيخ المصنفين، من علماء اليمن وأشياخ فقهاء الزمن»، وقال الجندي والأهدل: «الإمام الذي عمت بركته، وظهرت شهرته».

وفاته: كانت وفاته في الجنَد في ربيع الأول سنة **٥١٥**هـ، وقيل: في سابقتها[١].

الفقهاء العَقَاميون (بنو أبي عَقَامة) :

وبنو عَقامة من أشهر بيوت العلم في تهامة اليمن، في ذلك العصر، قال عمارة اليمني (ت **٥٦٩**هـ): «وهؤلاء بنو أبي عقامة أهل رئاسة متأثلة في اليمن من أيام ابن زياد، ولم يزل الحكم فيهم يتوارثونه إلى أن زال عنهم بزوال دولة الحبشة من زبيد سنة **٥٥٤**هـ، وما زال في كل عصر منهم عالم مبرز، وحبر مصنف، وخطيب مصقع، وشاعر مفلق، وإمام مدرس»[٢].

وقال ابن سمرة (ت **٥٨٦**هـ؟): «وفضائل بني أبي عقامة مشهورة، وهم الذين

---

(١) ابن سمرة، **المصدر السابق**: ص**١٥٢-١٥٣** .

(٢) عمارة اليمني، **المفيد**، (المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، الطبعة الثالثة، **١٩٨٥**م): ص**٥١**، و**٢٣٣**.

نصر الله بهم مذهب الإمام الشافعي في تهامة، وقدماؤهم جهروا ببسم الله الرحمن الرحيم في الجمعة والجماعات»[١].

وسوف أقتصر على ذكر أبرز فقيه من بني عقامة، وقد وقع في ترجمته من إشكالات وخبط عند كل من ترجم له، وها أنذا أبين ترجمته وأجليها بعون الله:

٩ـ الإمام أبو الفتوح ابن أبي عقامة[*] (ت بعد ٥٢٠هـ):

هو الإمام الكبير الفقيه أبو الفتوح بن علي بن محمد بن علي بن أبي عقامة، التَّغْلِبي الربَعي اليماني، الزبيدي التهامي، مولده بزبيد من تهامة اليمن، وبها نشأته. واسمه كنيته، كذا ورد عند عمارة اليمني وهو عصريه وله بذويه معرفة وخلطة. وسماه الإمام النووي في تهذيب الأسماء (عبد الله)، وعليه اعتمد من ترجم له بعده، وعندي توقف في ذلك، لاسيما وأن صاحب البيان ذكره بكنيته (أبي الفتوح) فقط، ولم يسمه، وكذلك فعل الإمامُ النووي نفسه في «الروضة» كما سيأتي العزو إليها، فدل هذا على تردد الإمام النووي في إثبات اسمه فيها، والله أعلم.

شيوخه: تفقه بعمِّه الإمام القاضي الحسن بن محمد بن علي بن أبي عقامة[٢]، المقتول

---

(١) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٢٤١، واليافعي، **مرآة الجنان**: ٣/ ٤٢٥.

(*) **مصادر ترجمته**: عمارة، **المفيد**: ص٢٣٤، ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٢٤٠، النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**: ٢/ ٢٦٢، الجندي، **السلوك**: ١/ ٢٦٠، السبكي، **الطبقات الكبرى**: ٧/ ١٣٠، الإسنوي، **طبقات الشافعية**: ٢/ ١٢٢، اليافعي، **مرآة الجنان**: ٣/ ٤٢٥، ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**: ٢/ ٣١٢، الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ ١٨٩، ابن هداية الله، **طبقات الشافعية**: ص٢٠٨.

(٢) **مصادر ترجمته**: عمارة، **المفيد**: ص٢٣٣، ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص٢٤١، الجندي، **السلوك**: ١/ ٢٥٢. وقد أغرب الإمام الإسنوي: فقال: «قرأ على جده أبي الحسن علي»، إلخ، وهذا وهم منه رحمه الله، وتابعه عليه ابن قاضي شهبة، والله أعلم.

على أيدي النجاحيين الأحباش سنة نيف وثمانين وأربعمائة، وكان متولياً القضاء الأعظم في اليمن على عهد الصليحيين.

ثم ارتحل إلى بغداد بعد مقتل عمه، وكان الشيخ أبو إسحاق الشيرازي قد توفي (ت **٤٧٦هـ**)، فلقي من كبار أصحابه الإمام أبي الغنائم محمد بن الفرج السلمي الفارقي[١]، أحد رفعاء أصحاب الشيخ أبي إسحاق (ت **٤٩٢هـ**) فلزمه وحمل العلم عنه، ثم عاد إلى بلده.

تلامذته: قال الإسنوي: (انتفع به كثير من علماء اليمن)، منهم: حفيده القاضي عبد الله بن محمد بن أبي الفتوح[٢] (كان حياً سنة **٥٨٠هـ**)، ورحل إليه الفقيه العلامة محمد بن علي القلعي (ت **٥٧٧هـ**) من مدينة (ظفار) بلاد عمان، وتلقى عنه، كما نصَّ عليه غير واحد من مترجميه منهم الإمام الإسنوي في طبقاته[٣].

---

(١) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**: **٤/ ١٩٣**، والإسنوي، **طبقات الشافعية**: **٢/ ١٣١**، ووقع في «طبقات ابن سمرة» تصحيفٌ سبب حيرة وتخبطاً، إذ جاء في (ص**٢٤٠**): «الفقيه أبي الغنائم عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني»، **والصواب**: عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، أما أبو حامد فطبقته متقدمة إذ وفاته سنة **٤٠٦**هـ، وأبو الغنائم الفارقي ـ كما في ترجمته عند السبكي وغيره ـ لم يطلب العلم إلا بعد سنة نيف وأربعين وأربعمائة، **فليحرر**. ثم وجدتُ الإمام الإسنوي قد نبه على هذا في ترجمته، فالحمد لله. وممن وقع في الوهم: ابن قاضي شهبة في **طبقاته**: **٢/ ٣١٢**.

(٢) ذكره عمارة في **تاريخه المفيد** (ص**٢٣٦**): فإنه لما ذكر صديقه القاضي محمد بن عبد الله بن علي الملقب بالحفائلي (قتل سنة **٥٥٤**هـ) قال: «وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي في زبيد، وإلى ابن عمه القاضي الحاكم أبي محمد، **عبد الله بن محمد بن أبي الفتوح**». انتهى. وذكر ابن سمرة (ص**٢٤١**) أن قاضي زبيد زمن الأيوبيين هو **عبد الله بن محمد بن أبي عقامة**، كان موجوداً أيام القاضي أثير الدين ابن بنان، وهذا القاضي غادر اليمن سنة **٥٨١**هـ، وأعتقد أنه يعنيه، والله أعلم.

(٣) ولكنه أغرب جداً، فجعل القلعي تلميذاً لبعض أحفاد أبي الفتوح، ومردُّ هذا الإغراب تخبط المؤرخين في اسم أبي الفتوح، وكثرة تشابه الأسماء في فقهاء بني عقامة، وتردد اسم: محمد بن عبد الله، وعبد الله ابن محمد، كما يلاحظ عند ابن سمرة وعمارة وغيرهما، لذا ينبغي التأمل كثيراً فيما أورده العلامة علوي ابن طاهر الحداد في كتابه «**عقود الألماس**»: **٢/ ١١١**.

منزلته العلمية: قال فيه عمارة بعد أن ذكر مقتل عمه: «ثم انتقلت رياسة البيت حكماً وعلماً إلى القاضي الأجل أبي الفتوح ابن علي، واحد عصره قياماً بالعلم»، وقال ابن سمرة: «كان عالماً مجوداً». انتهى. وقال فيه الإمام النووي: «من فضلاء أصحابنا المتأخرين .. تكرر ذكره في الروضة، لا ذكر له في غيرها من هذه الكتب». انتهى. لكن الإسنويَّ في «طبقاته» استدرك: بأنه ذكره الرافعي نقلاً عن البيان.

وفاته: لم تؤرخ وفاته في كافة المصادر، وانفرد ابن هداية الله الحسيني في «طبقاته» فأرخها تحديداً بسنة **٥٥٠هـ**، ولا ندري ما مصدره في هذا التحديد، وعده ابن قاضي شهبة في الطبقة الرابعة عشرة، وهم الذين كانوا في العشرين الثانية من المائة السادسة[(١)].

*** مصنفاته الفقهية:**

قال عمارة: «صنف في المذهب والخلاف، لم يفقه أحد من أهل عصره بعد تصنيفها إلا منها». انتهى. وقال ابن سمرة والإمام النووي: «له مصنفات حسنة».

---

(١) **ملاحظة هامة**: نقل محقق **الطبقات** لابن قاضي شهبة (الدكتور عبد العظيم عبد العليم خان) عن تعليقة كتب في الأصل (المخطوط) بأنها نقلت عن خط الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت **٨٥٢**هـ) استدراكاً على معاصره ابن قاضي شهبة (ت **٨٥١**هـ)، ونصها: «**يحوَّل إلى الطبقة التي قبلها، فإنه ولي قضاء اليمن بعد ولي عمه الحسن بعد الثمانين وأربعمائة، فأقام عشرين سنة**». انتهى. وهذا الاستدراك أشكُّ في أنه للحافظ، لأن نظر الحافظ أعلى وأدق من أن يلاحظ ما ذكر من فارق الطبقة فقط ويسكت عن أمور أكثر بداهة من ذلك، والأدلة على ذلك ما يلي: **أما أولاً**: فلأن المستدرك سمى (الحسن) عماً لا جداً، وكان عليه أن يستدرك ذلك في أصل الترجمة. **وأما ثانياً**: فتحديده بأنه أقام في القضاء عشرين سنة ليس له أي مستند، ولم يرد في كل **مصادر ترجمته** التي قدمتها، وليس مثل الحافظ من يجازف في القول! **ولو فرضنا** أنه أقام فعلاً عشرين سنة، فإن وضع ابن قاضي شهبة له في الطبقة الرابعة عشرة صحيح، لأن عمه قتل سنة نيف وثمانمائة، فيكون قد جلس في القضاء إلى سنة نيف وخمسمائة، فطبقته على ذلك صحيحة، ولا يستدرك على ابن قاضي شهبة أصلاً. فبان أن هذا الاستدراك فيه أنظار، وليس نظراً واحداً فقط، وليس مثل الحافظ ابن حجر من يجازف، والله أعلم وأحكم.

١ ـ كتاب التحقيق: ذكره ابن سمرة، والعمراني في «البيان» ينقل عنه كثيراً.

٢ ـ كتاب الخناثى: ذكره ابن سمرة، والإمام النووي في «تهذيب الأسماء» وقال فيه عند وصف مصنفاته: «من أغربها وأنفسها: **كتاب الخناثى، مجلد لطيف**، فيه نفائس حسنة، ولم يسبق إلى تصنيف مثله، وقد انتخبت أنا مقاصدَه مختصرَةً، وذكرتها في أواخر باب ما ينقض الوضوء من شرح المهذب». انتهى. ونقل عنه في «**روضة الطالبين**» **(٧/ ٤٩)** في أوائل كتاب النكاح، ونقلها عنه السبكي في **طبقاته**، والإسنوي في **طبقاته** أيضا. زاد التاج السبكي: «**قلت**: وقد ذكر الرافعيُّ أبا الفتوح في كتاب الديات في الكلام على قطع حلمة المرأة». انتهى. وأوضح الإسنوي أن الرافعي إنما نقل عنه بواسطة البيان للعمراني، لا أنه وقف على الكتاب كالنووي، والله أعلم. وقال الإسنوي: «وتصنيفه المذكور قليلُ الوجود، عندي به نسخة، وصاحبُ البيان ينقل عنه كثيراً ...» إلخ.

ولشهرة هذا الكتاب عند المتقدمين فقد صار صاحب الترجمة يعرف به، ولما ذكره ابن قاضي شهبة في «طبقاته» قال عنه: «صاحب كتاب الخناثى»، وقد تصحَّف اسم الكتاب عند البعض، ففي بعض نسخ «طبقات الفقهاء» لابن سمرة: تقرأ: (الحبابا)، غير منقوطة، فظنها بعضهم: **(الجنايات)**، وتحوَّلت عند ابن هداية الله في «طبقاته» إلى **(الحسان)** وهذه مردها إلى تصحيفات النساخ وهي كثيرة، وبابها واسع.

١٠ ـ الإمام ابنُ عبدوَيهِ الكَمَراني(*) (٤٣٧-٥٢٥هـ):

هو الإمام الفقيه العلامة، أبو عبد الله محمد بن الحسن (وقيل: ابن عبد الله) بن محمد بن عبدويه، المهرُوباني[(١)] الشافعي، كان من أبناء تجار البصرة، مولده سنة **٤٣٧** هـ.

(*) **مصادر ترجمته**: ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص١٤٤-١٤٩، الجندي، **السلوك**: ١/ ٢٧٩-٢٨٢، الأهدل، **تحفة الزمن**: ١/ ٢٠٥-٢٠٩، اليافعي، **مرآة الجنان**: ٣/ ١٨٥، الشرجي، **طبقات الخواص**: ص٢٧٧، **الطيب بامخرمة، قلادة النحر**: ٢/ ٢٢٣٢ (ترجمة: ٢٢٤٩).

(١) ينسب إلى بلدة (مهروبان) الواقعة بقرب عباذان على الخليج الفارسي وهي فرضة مدينة (أرَّجان).

شيوخه: تفقه في بغداد بالشيخ الإمام أبي إسحاق الشيرازي (ت **٤٧٦**هـ) وأخذ عنه المهذب ومسائل الخلاف كلاهما له، وأخذ عنه الأصول والجدل من كتبه، ووجد في بعض الكتب أنه ختم قراءة المهذب على شيخه في **١٢** ذي الحجة من سنة **٤٧١**هـ، وكان عمره حينها **٣٤** عاماً.

منزلته العلمية وبعض أحواله: أولُ ما قدم إلى اليمن سكَن عدن مدة، ثم انتقل إلى زبيد سنة **٤٩٧**هـ زمن بني نَجَاحٍ الأحباش، فأغارَ على زبيد بعضُ الأمراء ونُهِبَ مالُه وتجارتُه وذلك سنة **٥٠٥**هـ، فتحوَّل بعدها إلى جزيرة كمران، وقد ذهب عنه عبيده وحاشيته، ثم أخلف الله عليه بمال كثير وتضاعفت تجارته، فكان ينفق على طلبة العلم، وابتلي بالعمى، فرد الله عليه بصره بدون طبيب، وله في ذلك مناجاة، وكان صاحب تقوى وورع وزهد. قال ابن سمرة :«وكان الشيخ محمد ابن عبدويه مفخماً عند الناس، معظماً كثير المال، كبير الجاه، كريم النفس، غزير العلم، فارتحل إليه الناس وكبار فقهاء اليمن، لكثرة علمه، وجودة إتقانه، وفهمه».

تلامذته: بعد أن استقر الفقيه في جزيرة كمران أقبل عليه طلبة العلم من الأنحاء، وكان أن اتفق ذلك عقب سفر الفقيه زيد اليفاعي (ت **٥١٥**هـ) إلى مكة كما تقدم، لهذا كان أكثر من أقبل على ابن عبدويه هم تلاميذ الفقيه زيدٍ الكبار، قال ابن سمرة: «وتفقه به خلق كثير»، وقال الجندي: «وعلى الجملة: فأصحابه أكثر من أن يحصوا كثرة، لكن هؤلاء في الغالب هم أعيانهم، وكان يقوم بكفاية المنقطعين من أصحابه». انتهى. **فمن أشهر الآخذين عنه**: الفقيه عبد الله بن أحمد بن محمد بن أبي عبد الله الهمداني الزبراني (ت **٥١٨**هـ)، ورفيقه عبد الله بن يحيى المصعبي السهفني، وكانت رحلتها سنة **٥٠٥** خمس وخمسمائة، سمعاً عليه فيها المهذب، وكتابه (الإرشاد) في الأصول. والفقيه زيد بن الحسن ابن محمد الفائشي الأُحاظِي (ت **٥٢٨**هـ)، ومحمد وخير ابنا أسعد بن الهيثم من المشيرق، وتاريخ قراءتها

عليه سنة **٥١٩هـ**. ويحيى بن محمد بن عمر بن محمد بن أبي عمران من الملحمة، وعمر بن عبد العزيز بن أبي قُرّة، وأخوه عبد الله، **من أهل أبين ولحج**.

والفقيه حسن بن أبي بكر الشيباني من الخوخة قرأ عليه في التنبيه إلى باب النكاح[١]، وعبد الله بن عيسى بن أيمن من ناحية الهرمة، ويحيى بن عطية من ناحية المهجم، وعيسى ابن عبد الملك من المعافر. كما أخذ عنه ابنه الفقيه عبد الله وكان مبرزاً في الفقه عالماً بالأصول (ت **٥٢٣هـ**)، والفقيه محمد بن يوسف بن أبي الخلّ قرأ عليه بعض التنبيه وزوجه المترجم بإحدى بناته، وله ذرية فقهاء صالحون بتهامة اليمن، وكان لهم دور مشهود في الفقه، ولهم فتاوى سائرة[٢].

هؤلاء جميعاً أخذوا عنه «المهذب» وغيرَه من تصانيف شيخه أبي إسحاق في الأصول، وبعضهم روى عنه مصنفه «الإرشاد» في أصول الفقه.

وفاته: توفي بجزيرة كمران ليلة الخميس **١٠** ربيع الآخر سنة **٥٢٥هـ** خمس وعشرين وخمسمائة، عن عمر (٨٨) عاماً، رحمه الله وغفر له.

*** مصنفاته الفقهية:**

[...] ـ **كتاب الإرشاد**: وهو في أصول الفقه، ذكره ابن سَمُرة، ووصفه بأنه (تصنيف مليح)، وممن رواه عنه تلميذاه: عبد الله بن أحمد الهمداني الزبراني، وعبد الله بن يحيى الصعبي، وعن الأول تلقاه الفقيه يحيى العمراني، كما سيأتي.

ـ وورد ذكر الشيخ ابن عبدويه في «فتاوى» الشيخ عبد الله بن أحمد بامخرمة (ت **٩٠٣هـ**): ص**٤٢٧**، ونقل عنه فائدة فقهية.

---

(١) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**: ص**١٤٩**، وهو من الآخذين عن حسن الشيباني المذكور.

(٢) الجندي، **السلوك**: ١/ ٢٨٠، والأهدل، **تحفة الزمن**: والوشلي، **نشر الثناء الحسن في تاريخ اليمن**، (مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، **١٤٢٣هـ**): ٣/ ١٠٣.